وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعيدة د. مولاي الطاهر
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

دور السياق في تحديد الدلالات اللغوية

قراءة في نماذج من آيات قرآنية

بحث مقدم ضمن متطلبات التخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص: لسانيات عامة

إعداد:
شويخي أيوب
صوار محمد قاسم

إشراف:
الأستاذ الدكتور: واضح أحمد

لجنة المناقشة

اسم الأستاذ	الجامعة	الصفة
د.معمر زروقي	د.مولاي طاهر –سعيدة–	رئيسا
أ.د. أحمد واضح	د.مولاي طاهر –سعيدة–	مشرفا ومقررا
د. عامر بن محمد	د.مولاي طاهر –سعيدة–	مناقشا وممتحنا

السنة الجامعية: 1445–1446هـ/2024–2025م

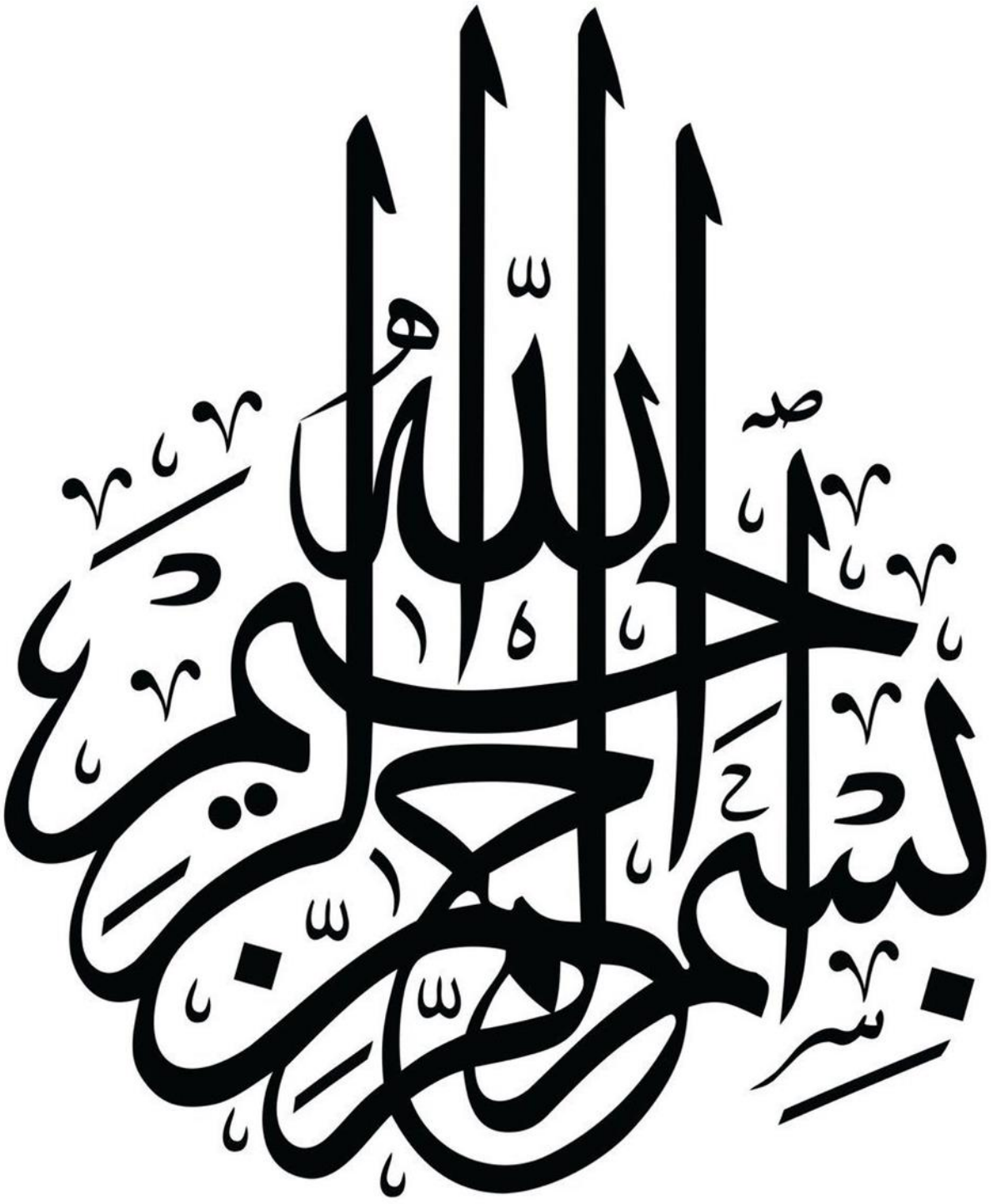
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

{ هَلْ جَزَاءُ الِاحْسَانِ ، الَا الِاحْسَانِ} [سورة الرحمن -60-]

الحمد لله الذي بلغنا هذا المقام ،والصلاة والسلام على خير الأنام ،محمد صلى الله عليه وسلم.

اللهم علمنا ما ينفعنا ،وانفعنا بما علمتنا ،إنك أنت العليم الحكيم ،وبعد:

فإننا نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان للأستاذ المشرف 'أحمد واضح 'على وقوفه معنا ،وعلى تلك التوجيهات ،والنصائح والإرشادات التي لم يبخل بها بغية إنجاز بحث متميز ودؤوب.

وتم تحقيق ذلك بالفعل بفضل دعمكم المستمر واللامشروط.

كما نتوجه بالشكر أيضا لكل القائمين على هذا العمل ،من أساتذة ،وإداريين ،وكل من ساهم في توفير الظروف اللازمة لإكمال العمل.

شكرا لكم جميعا

إهداء

﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾
[الأعراف: 43]

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والداي ،الذان ربياني فأحسنا تربيتي ،ووقفا معي طيلة مشواري الدراسي.

وإلى جميع أفراد عائلتي وأقربائي ،وأحبائي ،وإلى كل من قدم لنا الدعم ولو بكلمة طيبة.

تحية خالصة لكم مني جميعا

الطالب صوار محمد قاسم

إهداء

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الملك الآية 23]

أقدم هذا العمل إلى من أنجباني لهذه الحياة ،والداي الذان ساندانـي دون كلل أو ملل للوصول إلى هذه المرحلة من الدراسة ،كما أهدي ثمرة مجهودنا إلى إخوتي ، وإلى كل من أحبهم ،وإلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث.

تحية طيبة لكم جميعا من القلب

الطالب شويخي أيوب

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وبرحمته تتنزل البركات والصلاة والسلام على رسولنا الكريم نور هذه الأمة وضياءها وشفيعنا يوم الحساب وعلى آله وصحابته أجمعين ،وبعد ،فقد دار موضوع عملنا حول إسهامات السياق في تحديد الدلالات اللغوية للألفاظ في آيات القرآن الكريم ،ومكانته عند العلماء العرب الأوائل ،وتطوراته في الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة ،فهو يعتبر عاملا مهما في عملية التحليل للنصوص والخطابات ،وله دور فعال في إنتاج المعاني .

ويملك السياق آليات تسهم في تحديد الدلالات اللغوية للنصوص ،فهو يشتمل على النص وعلى خلفياته ،وقد تناوله العلماء العرب قديما ،ويعرف عندهم بالمقام ومقتضى الحال عند علماء اللغة والبلاغة ،ويعده علماء الأصول والتفسير قرينة أساسية تتبين من خلالها دلالات الألفاظ في آيات القرآن الكريم ،وينقسم السياق بهذا إلى شقين ،الشق الأول وهو السياق اللغوي الذي يختص بالنظر في العلاقة بين المفردات والجمل في النص ،كما نص أحد النحاة الأوائل بأن معاني الألفاظ تدل على معاني بعضها البعض ،والشق الثاني يطلق عليه بسياق الحال أو بالسياق الغير لغوي ،والذي يهتم بربط تلك الألفاظ بالعوامل والظروف المحيطة بها ،وإدراج مجموعة من العناصر التي قد تسهم في تحديد المعنى المراد من تلك الألفاظ ،كالمتكلم والمخاطب ودلالات الزمان و المكان والمقام .

وأما في الدراسات اللسانية الحديثة ،فقد أصبح السياق نظرية متكاملة تهتم بدراسة اللغة والخطاب ،وقد عول عليه الباحثون اللسانيون في استنباط المعاني من الألفاظ اللغوية ،ويعود تأسيس هذه النظرية على يد الباحث الإنجليزي جون فيرث ،الذي أعطى عناية خاصة به وجعله عاملا أساسيا في تحديد دلالة الكلمات والجمل في الخطاب ،وذلك بالاستناد إلى الظروف الاجتماعية والثقافية التي يستعمل فيها الخطاب .ثم ازدهر مفهوم السياق بعد فيرث ،وصار أحد اتجاهات اللسانية الجديدة ،فلم يعد الخطاب يدرس بالاقتصار على الجانب اللغوي ،والتوقف عند ظاهر الخطاب ،بل تعدت تلك الدراسة إلى دمج عناصر أخرى خارجية تتمثل في ما يحيط به ،وفي ما يقصد المتكلم ،وفي ما يفهمه المستمع أو القارئ.

وعلى هذا نتساءل ،ماهو الدور الذي يلعبه السياق في تحديد دلالات المفردات والجمل في آيات القرآن المجيد ؟،وكيف تناول العلماء العرب السياق في تفسيرهم لألفاظ القرآن ؟،وما الذي أضافه الباحثون اللسانيون المحدثون في هذه النظرية ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة فقد عملنا على خطة بحث اشتملت على مقدمة و ثلاثة فصول ،فالفصل الأول تحدثنا فيه على ملامح السياق في التراث العربي عند كل من علماء النحو والبلاغة والأصول والتفسير ،أما الفصل الثاني ،فدار فيه الحديث حول السياق في الدرس اللساني الحديث بدأ من العالم السوسري 'دي سوسير' و'ر.جاكبسون'وكذلك الأنثروبولوجي 'ب.'مالينوفسكي ،ثم المؤسس الفعلي لنظرية السياق الباحث الإنجليزي 'ج.ر.فيرث'،ثم انتقلنا بعد ذلك في نفس الفصل إلى النظر في تطورات السياق في الدراسات اللسانية التداولية والنصية ،وأما في الفصل الأخير ،حاولنا فيه تطبيق السياق على بعض المفردات والجمل من آيات الله ، أما الخاتمة فقد تضمنت حوصلة حول النتائج المستخلصة من هذا الموضوع .كما اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي ،وتتخلله نظرة تاريخية للسياق . و كان الهدف من هذا البحث هو تقديم قراءة علمية و موضوعية خاصة بأهمية السياق في كتاب الله ،وما تعلق به من السمات السياقية ،والمهام التي أداها السياق في كشف دلالات اللفظ ،وكشف الثروة المعنوية للألفاظ ،والتي تقررت بما رأيناه من نماذج تطبيقية على ألفاظ اخترناها تبعا لآلية السياق . و لأن القرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل المنزل على النبي المصطفى صلى الله عليه و سلم ،وهو مثال للغة في كمالها ،ونظرا لتفرده في أسلوبه المرن ،وحسن نظمه ،والاستعمال المثالي للألفاظ في التعبير عن أغراضه ،فأردنا أن نتخذه نموذجا نقتدي به في محاولة لتفسير ظاهرة السياق ،ولهذا جعلناه سببا في اختيارنا لهذا الموضوع ،وأما على الصعيد الذاتي ،فما قمنا باختيارنا لهذا الموضوع إلا تصديقا وإيمانا بأثره البالغ في كشف عن ماهو مكنون من المعاني التي تتستر خلف الألفاظ.

وأما الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها في عملية البحث فهي مختلفة و متنوعة ،منها قديمة وأخرى حديثة ،على حسب طبيعة المحاور لكل فصل ، وأما التي ارتكزنا عليها ،فمنها كتب التفسير ككتاب

البرهان في علوم القرآن للزركشي ،وكتاب الكشاف للزمخشري ،وأخرى كتب حديثة على غرار كتاب علم الدلالة لأحمد عمر المختار ،و التداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي .

وقد واجهتنا بعض التحديات في إنجاز هذا العمل ،منها صعوبة الإلمام بشكل شامل للموضوع ،نظرا لتشعب قضاياه ،فحتى الذين سبقونا يقرون بذلك ،وكذلك أخذنا بعض الحذر والاحتراز في الخوض في مسائل تتعلق بآيات الله لما لها من قداسة لا يسمح لنا في التعامل معها بشكل مطلق . وعلى الرغم من ذلك ،نرجو بأن نكون قد وفينا هذا الموضوع حقه ،ولم نبخس منه شيئا ،وما الجهد الذي بذلناه إلا بتوفيق من عند الله ،و دعم من الأساتذة المتخصصين في هذا المجال.

وفي الأخير نتوجه بالشكر والدعاء لكل من الأستاذ 'أحمد واضح 'الذي أشرف علينا لإنجاز هذه المذكرة ،وكذلك الأساتذة المقبلين على مناقشتها والذين تجشموا عناء القراءة ،ولكل من وضع بصمته في هذا العمل جزاكم الله عنا خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين .

الطالب شويخي أيوب الطالب صوار محمد قاسم

20 ماي 2025

ولاية سعيدة

مدخل

مدخل

إن الألفاظ تحمل في ذاتها أبعادا دلالية مختلفة ومتعددة، تخول لها الولوج في أكثر من سياق، وأغلب العلماء قديما وحديثا دعوا إلى ضرورة المثول لفكرة المقام في دراسة المعنى، فكل لفظة مع صاحبتها مقام[1]، وينبغي الالتفات إلى تلك التفاصيل التي تحيط بالمقام أو السياق ،ومراعاة دورها في تحديد المعنى بشكل ممنهج، فقد أدرك علماء البلاغة واللغة وغيرهم أن من طبيعة المعنى التعدد والاحتمال، فهو حمال أوجه، ويشهدون على هذا القول بحديثهم عن بعض الظواهر اللغوية، كالترادف، والمشترك اللفظي وغيرها من ظواهر تعدد معنى الكلمات.

وبما أن اللغة في وصفها ظاهرة اجتماعية تفيد التواصل، مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة المجتمع الذي يستعملها، فالسياق هو الأساس الذي ينخرط حول علم المعنى، وهو ما تبنى عليه الوجوه المعنوية، فلا يمكن فهم اللغة إلا من فهم المعنى. ودراسة المعنى قد أخذ اتجاهات مختلفة عبر الزمن، منها الاتجاه التصوري والاتجاه الإشاري والاتجاه السلوكي، فهذه الاتجاهات الثلاثة كانت تركز في مناهجها في دراسة المعنى على الدلالة المعجمية للمفردة، واعتبروها عنصرا أساسيا لكل من علمي التركيب والدلالة[2]، وإن كان هناك اختلافات متباينة بين هذه الاتجاهات، لا يسعنا ذكر هذه الاختلافات لأنها لا تصب في موضوع بحثنا، إنما الاتجاه الذي نريده هو الاتجاه السياقي الذي خالف كل الاتجاهات السابقة، فالمعنى عند رواد هذا الاتجاه ينظرون إليه من حيث الاستعمال الفعلي للغة، فقد صرح "فيرث" بأن "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية"[3]، أي إدراجها ضمن سياقات متنوعة، كما تنص هذه النظرية (النظرية السياقية) على أن "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا

---

[1] د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط 1994م، ص334.

[2] ينظر، أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1 1958م، ط2 1988م، ط3 1991م، ط4 1993م، ط5 1998، ص53 ،59.

[3] نفس المرجع، ص68.

يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[1]، وبهذا يفند "فيرث" فكرة أن الطريق الذي يوصلنا إلى معنى المفردة هو برؤية الإشارات والأوصاف والتعريفات، ويرى "فيرث" أيضا بأن التحليل اللغوي للمعنى يكمن بواسطة ربطه بمختلف المواقف الاجتماعية، وهي ما أطلق عليها علماء البلاغة بمقتضى الحال، إذ "لكل مقام مقال"، فدلالة الأقوال تختلف باختلافات المقامات.

وعلى إثر هذا،كان العلماء العرب الأولون سباقين بمئات السنين في إقرارهم بمصطلح "المقام"، بل وكانوا أكثر إلماما به، فدراسة المعنى عندهم لم يكن بشكل منعزل عن المقام، إذ لطالما تغنوا به وربطوا الألفاظ بما يحيط بها من قرائن الأحوال، والتي تضفي فوائد كثيرة في تحديد المعنى، ونجد أسباب النزول من أبرز القرائن الحالية التي كان المفسرون يطلعون عليها قبل الحكم على المعنى المقصود من الآيات القرآنية، وعلى سبيل المثال استناد جل العلماء إلى النظر في عادات العرب في أقوالهم وأفعالهم في الحج حتى يتعرفوا جيدا على آيات الحج[2].

إذن، فبمعرفة الظروف والأحوال الاجتماعية من حيث الثقافة والتاريخ، يكون للمتلقي قدرة على الوصول للمعنى من الأقوال. ومنه يتبين لنا نوعان من المعنى، النوع الأول هو المعنى المقالي، والنوع الثاني يسمى بالمعنى المقامي[3]، أما المعنى المقالي، فهو يتكون من دلالات وظيفية من حيث الأصوات والبناء والتركيب، أو بالأحرى قرائن مقالية، أما المعنى المقامي، فيشمل المواقف التي أنجز فيها المقال، ويقصد بها قرائن الأحوال، وهي بمثابة المقام. ونلاحظ في هذه الحالة بأن مصطلحي المقام والسياق بمنزلة الترادف، بحيث أنهما يشتركان في مفهومهما الاصطلاحي، والذي يعني "مجموع الظروف التي نشأ التعبير في وسطها (الكتابي أو الشفاهي)، ويجب أن يفهم من هذا المحيط المادي الاجتماعي الذي يأخذ الظرف فيه مكانه، والصورة التي تكون للمخاطبين عنه، وهوية هؤلاء، وبالفكرة التي يصطنعها كل واحد عن الأمر، (بما في

---

[1] نفس المرجع، ص68-69.

[2] ينظر، أحمد أمين، فجر الإسلام، مطبعة الاعتماد شارع حسن الأكبر، مصر، ط2، ج1، ص233.

[3] اللغة العربية معناها ومبناها، ص339.

ذلك التمثيل الذي يمتلكه كل واحد عما يفكر به الآخر)، والأحداث التي سبقت التعبير (لا سيما العلاقات التي كان يمتلكها المتخاطبون من قبل)"[1]. وإذا أعطينا للسياق هذا المفهوم فسيصير الموضوع الذي نتناوله هو البحث عن المعنى من خلال بيئته والقرآئن المحيطة به، سواء أكانت لفظية أم معنوية.

والسياق ينقسم إلى قسمين:

1) **السياق اللغوي**: وهو "النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، وهو يشمل عند اللغويين الكلمات والجمل السابقة، واللاحقة للكلمة، والنص الذي ترد فيه"[2]، وإن الكلمات والجمل لا يمكن أن تتوالى في النص بشكل عشوائي، وإنما يتم التنسيق والتأليف فيما بيها وفق ضوابط وأحكام نحوية وقواعد معجمية، إذ وجب على المتكلم أن يضع كلامه "الوضع الذي يقتضيه النحو وأن يعمل بقوانينه وأصوله"، ومنه نقول بأن السياق اللغوي يشتمل على عوامل نحوية معجمية تساهم في تنظيم الكلام ونسجه وترتيبه

2) **السياق غير اللغوي**: ويعرف أيضا بسياق الحال، وهو "جملة من العناصر غير لغوية مكونة للموقف الكلامي من شخصية المتكلم وشخصية السامع، والعوامل الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف، وعلاقات الزمان والمكان وسائر الظروف المحيطة بالكلام، والتي تساهم في تكوينه وتؤثر فيه"[3]، أو كما ذكرنا سابقا، قرائن الأحوال التي تصبغ النص وتوضح دلالته، وتكشف المعنى للكلمات والجمل وفق الوضع السائد بين النص والقارئ.

---

[1] أزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، طبعة منقحة، ص677.

[2] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ص54.

[3] محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية بيروت، ص311.

الفصل الأول: السياق من خلال أفق الدراسات التراثية العربية

تمهيد:

عرف السياق في الفكر العربي القديم بالمقام، أو مقتضى الحال، عند علماء النحو والبلاغة، أما علماء الأصول والتفسير، فقد جعلوا أسباب النزول من أبرز القرائن الحالية التي ارتكزوا عليها في فهم آيات الله والتدبر فيها، ولم يغفل العلماء العرب جلهم تقريبا عن الجانب اللغوي الذي يتميز بمراعاة السوابق واللواحق في الخطاب لأجل الوصول إلى المعنى الدقيق للآية القرآنية.

1. السياق عند علماء النحو

1.1.السياق عند سيبويه

تربط بين السياق والنحو علاقة مشتركة، فالجملة هي الوحدة الأساسية التي يرتكزان حولها في عملية التحليل، فمن الطبيعي أن تجد موضوع السياق واردا عند النحاة الأوائل، وإن لم يأتي بالصيغة الإصلاحية الحديثة، إلا أنهم أشاروا إليه ولمحوا له في مواضع عدة بصيغ مختلفة، فقد بدأت العناية بالسياق منذ أقدم كتاب وهو كتاب سيبويه. فذكر فيه مسألة مهمة تتعلق بالاستقامة في الكلام، وهذا باب تحدث فيه وقال عنه: "(والكلام فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب)، فأما المستقيم الحسن، فقولك: (أتيتك أمس وسآتيك غدا)، وأما المحال فأن تنقض كلامك بآخره، فتقول: (أتيتك غدا وسآتيك أمس)، وأما المستقيم الكذب، فقولك: (حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه)، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: (قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا)، وأما المحال الكذب فأن تقول: (سوف أشرب ماء البحر أمس)"[1]، فنلاحظ في هذا القول أن سيبويه كان يدعو إلى ضرورة استعمال الألفاظ في المكان المناسب لها، مع مراعاة الموضع الذي يباشر فيه الكلام، وهو السياق نفسه الذي يعني تتابع الكلمات في الجملة، وكذلك الحال الذي يواكب الكلام.

[1] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3 مكتبة الخانجي، القاهرة 1408هـ-1988م، ج1، ص25-26.

ورأينا أيضا أن السياق له دور في تغيير رتبة الكلمات في الجمل، بحيث أن الموقف قد يقتضي في ذلك تقديم كلمة أو تأخيرها، قال سيبويه: "ضرب زيدا عبد الله" لأنك إنما أردت بها مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن كان حد اللفظ أن يكون مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا بهما وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم[1]. وهنا تقديم الفاعل عبد الله على المفعول زيدا وهذا يفسر شيئا مهما، وهو أنه من الضروري أن تتناسب دلالة الألفاظ مع الأداء الصحيح للغة، كما جاء في المستقيم الحسن (أتيتك أمسا، وسآتيك غدا)، وكذلك النظر إلى الأحوال التي تحيط بالكلام، فليس بالضرورة أن يكون معنى الكلام صحيحا فقط بصحة التركيب وتوافق دلالة الكلمات فيما بينها، إنما يقتضي أيضا مطابقتها مع الواقع، إذ لا يمكن التسليم به طالما ينافي العقل، مثل ذلك في المستقيم الكذب (حملت الجبل وشربت ماء البحر)، فلابد من مراعاة حال السامع وحال الوضع، وينبغي أن يدرك أن ما توحي إليه الألفاظ قد تستدعي التقديم أو التأخير، وهذه التنبيهات حول أهمية مراعاة سياق الكلام والعلاقات بين الأجزاء.

ومن ملامح بروز ظاهرة السياق عند سيبويه، قد جاء في باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، يقول سيبويه: "واسم الفاعل والمفعول فيه لا شيء واحد، فمن ثم ذكر على حدته ولم يذكر مع الأول، ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل، كما لم يوجد في ظننت الاقتصار على المفعول الأول، لأن حالك في الاحتياج إلى الآخر ها هنا كحالك في الاحتياج إليه ثمة"[2].

وقد فصل سيبويه في هذا القول إذ قال: "وذلك قولك كان ويكون وسار وما دام وليس وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغنى عن الخبر، تقول كان عبد الله أخاك" فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى، وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول من ظننت، وإن شئت

[1] نفس المصدر السابق، ج1، ص34.

[2] نفس المصدر السابق، ج1، ص45.

قلت كان أخاك عبد الله، فقدمت وأخرت كما فعلت، ذلك في ضرب لأنه فعل مثله، وحال التقديم والتأخير فيه كحاله في ضرب، إلا أن اسم الفاعل والمفعول فيه لا شيء واحد"[1].

وفي حديثه عن كان وأخواتها في هذا الباب يقول: "فأما ليس فإنه لا يكون فيها ذلك، لأنها وضعت موضعا واحدا، ومن ثم لم تصرف الفعل الأخر، فمما جاء على وقع قوله وهو مقاس العائد:

فدا لبني دهل بن شيبان ناقتي *** إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

وقال الآخر عمرو بن شأس:

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا *** إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

إذا كانت الحوو الطوال كأنما *** كساها السلاح الأرجوان المطلع

أضمر لعلم المخاطب بما يعني وهو اليوم، وسمعت بعض العرب يقول أشنعا ويرفع ما قبله، كأنه قال: "إذا وقع يوم ذو كواكب أشنعا"[2]، يشير سيبويه في هذا المثال على أنه لا يصح الابتداء بالنكرة، ولا يصح أيضا تقديم النكرة على المعرفة، إذ لابد أن تبتدأ بالأعرف ثم تذكر الخبر، أما إذا دخلت كان فلا بأس أن تقدم خبرها على اسمها، فقد يصيب المخاطب لبس أو إبهام، إذا بدا المتكلم بالنكرة، ويوضح هذا القول بقوله: "واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة فالذي تشغل به كان المعرفة، لأنه حد الكلام، لأنهما شيء واحد، وليس بمنزلة قولك: (ضرب رجل زيدا)، لأنهما شيئان مختلفان، وهما في كان بمنزلتهما في الابتدائي إذا قلت عبد الله منطلق، تبتدأ بالأعرب ثم تذكر الخبر، وذلك قولك: (كان زيد حليما وكان حليم زيدا)، لا عليك أقدمت أم أخرت، إلا أنه على ما وصفت لك في قولك (ضرب زيدا عبد الله)، فإذا قلت (كان زيد) فقد ابتدأت بما معروف عنده مثله عندك، فإنما ينتظر الخبر، فإذا قلت (حليما) فقد أعلمته مثل ما علمت، فإذا قلت (كان حليما) فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل وإن

[1] نفس المصدر السابق، ج1، ص45.

[2] نفس المصدر السابق، ج1، ص47.

كان مؤخرا في اللفظ، فإن قلت (كان حليم أو رجل) فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور، وليس بهذا الذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة، فكرهوا أن يقربوا باب لبس"[1].

وهذا يبين عناية سيبويه بمقتضى الحال، وقد استعان به في توضيح معنى الكلام، وهذا يقودنا إلى التسليم بأن سيبويه قد تعامل بالسياق في تحليله للكلام العربي، لغويا وغير لغوي، ومثال آخر نبين فيه توظيفه للسياق في الكتاب من باب ما يلتصق من الأسماء التي أخذت من الأفعال انتصاب الفعل. قال سيبويه: "استفهمت أو لم تستفهم وذلك قولك أقائما وقد قعد الناس وأقاعدا وقد سار الركب، وكذلك إن أردت هذا المعنى ولم تستفهم تقول (قاعدا علم الله وقد سار الركب)، وكذلك إن أردت هذا المعنى ولم تستفهم تقول (قاعدا علم الله وقد سار الركب، وقائما قد علم الله وقد قعد الناس) وذلك أنه رأى رجلا في حال قيام أو في حال قعود فأراد أن ينبهه، فكأنه لفظ بقوله أتقول قائما وأتقعد قاعدا ولكنه حذف استغناء بما يرى من الحال وصار الاسم بدلا من اللفظ بالفعل، فجرى مجرى المصدر في هذا الموضع"[2]. ويضيف مثالا آخر حيث يقول: "ومثل ذلك عائذا بالله من شرها كأنه رأى شيئا يتقى فصار عند نفسه في حال استعاذة، حتى صار بمنزلة الذي رآه في حال قيام وقعود لأنه يرى نفسه في تلك الحال فقال: "عائذا بالله كأنه قال أعوذ بالله عائذا بالله ولكنه حذف الفعل لأنه بدل من قوله (أعوذ بالله) فصار هذا يجري ها هنا مجرى عياذا بالله ومنهم من يقول عائذ بالله من شر فلان"[3]. يدل هذا المثال على استناد سيبويه لسياق الحال قبل أن يوضع الكلام فهو عامل أساسي في نقل ما يريده المتكلم إلى المخاطب بالتمام، دون نقص أو تعقيد فبعض الأمور المحيطة بالكلام قد تساهم في الوصول إلى المبتغى وكمثال بأن تسال عن شيء والغاية من السؤال هو قصد شيء آخر كما جاء في كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ [سورة الزخرف الآية 16] المراد في هذه الآية هو توضيح وتبيان ضلالة المشركين يقول

(1) نفس المصدر السابق، ج1، ص47-48.

(2) نفس المصدر السابق، ج1، ص340-341.

(3) نفس المصدر السابق، ج1، ص341.

سيبويه: "فقد علم النبي γ والمسلمون أن الله β لم يتخذ ولدا ولكنه جاء على حرف الاستفهام ليبصروا ضلالتهم، ألا ترى أن الرجل يقول للرجل السعادة أحب إليك أم الشقاء وقد علم أن السعادة أحب إليه من الشقاء وأن المسؤول سيقول السعادة ولكنه أراد أن يبصر صاحبه وأن يعلمه"[1].

ونلاحظ عند صاحب الكتاب أن السياق له دور في الإعراب، فالكلمة قد يتعدد معناها ويحصل فيها لبس، فالرجوع للسياق هو السبيل الذي يحدد الوجه الإعرابي، ومن أمثلة ذلك يقول سيبويه في باب ما يكون العمل فيه من اثنين: "وذلك قولك صرت حتى يدخلها زيد إذا كان دخول زيد لم يؤده سيرك ولم يكن سببه فيصير هذا كقولك سرت حتى تطلع الشمس، لأن سيرك لا يكون سببا لطلوع الشمس ولا يؤديه، ولكنك لو قلت سرت حتى يدخلها ثقلا وسرت حتى يدخلها بدني، إذا رفعت لأنك جعلت دخول ثقلك يؤديه سيرك وبدنك لم يكن دخوله إلا بسيرك".

وبلغنا أن مجاهدا قرأ هذه الآية: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [سورة البقرة الآية 214] وهي قراءة أهل الحجاز وتقول (سرت حتى يدخلها زيد وأدخلها، وسرت حتى أدخلها ويدخلها زيد) إذا جعلت دخول زيد من سبب سيرك وهو الذي أداه، ولا تجد بدا من أن تجعله ها هنا في تلك الحالة، لأن رفع الأول لا يكون إلا وسبب دخوله سيره وإذا كانت هذه حال الأول لم يكن بدلا للآخر من أن يتبعه، لأنك تعطفه على دخولك في حتى[2]. وكان هذا تلميحا لفكرة السياق عند سيبويه.

2.1.السياق عند ابن جني

ومن النحات الأوائل الذين استعانوا بالسياق في دراساتهم نستحضر ابن جني، إذ تمثلت أعماله في دراسته للتراكيب للكلمات والعلاقة بين اللفظ والمعنى، ومن حاشيات تلك الدراسة، تناول موضوعا يتعلق بموقع الكلمة وهي بحد ذاتها سياق، فمعنى الكلمة لا يتبين إلا من السياق فتعدد معانيها قد يشوش الفهم والمعنى المقصود من الكلام، فلابد من ربط الكلمات ضمن سياق معين وحتى يتحدد مدلولها ودورها في

[1] نفس المصدر السابق، ج3، ص173.

[2] نفس المصدر السابق، ج3، ص25-26.

الجملة، وقد أدرك ابن جني ذلك حين لاحظ مسألة الحذف في الجملة فقال: "حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا دليل عليه فأما الجملة فنحو قولهم في القسم (والله لا فعلت وتالله لقد فعلت) وأصله أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال، من الجار والمجرور دليلا على الجملة المحذوفة وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضير نحو قولك (زيدا إذا أردت اضرب زيدا أو نحوه ومنه إياك إذا حذرتهم) وقد حذفت الجملة من الخبر، نحو قولك (القرطاس والله) أي أصاب القرطاس، وكذلك في الشرط نحو قوله (الناس مجزيون بأفعالهم إن خيرا فخيرا و إن شرا فشرا) أي إن فعل المرء خيرا جزي خيرا وإن فعل شرا جزي شرا"[1].

إن فهم دلالة المعاني للجمل لا يكتمل إلا من خلال السياق الذي أوضح المحذوف، وهذا يدعى بالسياق اللغوي فالألفاظ هي أدلة المعاني، فإذا ما أضيف حرف أو كلمة أو إذا ما حذفت جملة وكلمة أو حرف فقد يدل هذا على معاني أخرى يقول ابن جني في هذا الصدد: "وبعد فإذا كانت الألفاظ أدلة للمعاني، ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به وكذلك إن انحرف به عن سمته أو هديته كان ذلك دليل على حادث متجدد"[2]. وزيادة شيء أو حذف شيء من الجملة لا نشهده إلا لغرض يحتاجه الحال أو الوضع، وهذا هو سياق الحال، يقول ابن جني: "إن هذا الكتاب ليس مبنيا على وجوب الإعراب وإنما هو مقام القول على أوائل الأصول هذا الكلام وكيف بدء وإلى ما نحي وهو كتاب يتساهم فيه ذوي النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين، والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل لهم، والبحث عن مستودعه، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون له سهم منه وحصة فيه"[3].

ومن المواضع التي أشار فيها ابن جني عن فكرة السياق لما تطرق للمشترك اللفظي فالتميز بين الألفاظ ومعانيها يتأتى من السياق الذي ولدت فيه، وعلى سبيل المثال كلمة الصدى من معانيها الطائر الذي

---

[1] ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج2، ص360.

[2] نفس المصدر السابق، ج3، ص268.

[3] نفس المصدر السابق، ج1، ص67.

يخرج من رأس المقتول إذا لم يدرك بثأره، وتعني أيضا العطش، وكذلك هي ما يعارض الصوت في الأوعية الخالية، والصدى أيضا من قولهم (فلان صدى مال) أي حسن الرعية له والقيام عليه[1]. فلا يمكن إدراك معناها المنشود إلا من السياق الذي تشهده الكلمة، وفي كلامنا عن موضوع السياق عند ابن جني جاء في كتابه الخصائص إشارات منها أنه قد ورد في اللغة العربية: "تأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور المعنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلا كان ذلك أم فرعا"[2]. وأمثلة على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (56)﴾ [سورة الأعراف الآية 56] ويقصد بالرحمة هنا المطر، وفي هذه الآية تذكير للمؤنث (رحمة) والتذكير هنا لأجل فاعل على قوله:

بأعين أعداء وهن صديق *** ولا عفراء منك قريب

وفي تأنيث المذكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [سورة يوسف الآية 10] ومما جاء في كتابه أيضا قوله: "اعلم أن هذا موضعا في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة، وللنفس به مسكة وعصمة، لأن في تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا وفعلت كذا لكذا، وهو أحزم لها وأجمل بها، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها من تكون تكلفت ما تكلفته من استمرارها على وتيرة واحدة وتقريها منهجا واحدا، تراعيه وتلاحظه، وتتحمل لذلك مشاقة وكلفة وتعتذر من تقصر إن جرى وفتى منها في شيء منه فإن قلت (فما تنكر أن يكون ذلك شيئا طبعوا عليه)، وأجيئ إليه من غير اعتقاد منهم لعلله ولا لقصد من المقصود التي تنسبها إليهم في قوانينه وأغراضه، بل لأن أحدا منهم حذا على نهج الأول فقال به (وقام الأول للثاني في كونه إماما له في مقام من هدي الأول إليه)، وبعثه عليه ملكا كان أو خاطر".

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار المعارف، كورنيش الليل القاهرة، 1119م، مادة "صدى"، ص2421-2422.

[2] الخصائص، ج2، ص411.

3.1.السياق عند ابن هشام الانصاري

يعد ابن هشام من النحات الذين اعتمدوا على المقام في إعراب الآيات القرآنية فلا يصح حسب قوله أن نعطي حكما إعرابيا فقط بالاستناد إلى الحركة وعامل الحرف وإنما بالنظر في الكلمة والدور الذي تؤديه في سياق معين فيقول ابن هشام: "وأول واجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفردا أو مركبا" ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه[1]. ويقول أيضا: "بأن ما يراعيه ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعيه المعنى وكثيرا ما تزل الأقدام بذلك"[2]. فيرى ابن هشام أن المعنى الظاهر في الكلام كثيرا ما لا يكون هو المراد كليا، بل هناك معنى آخر لا يدرك إلا بالمقام وهو ما يساهم في توجيه النحوي للكلمات في الجمل بشكل سليم، خالي من الخطأ، ويعطي لنا ابن هشام أمثلة نذكر منها قوله تعالى: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [سورة هود الآية 87] يظهر لنا أن المصدر المؤول أن نفعل معطوف على أن نترك وهذا يبطله ابن هشام وذلك لأنهم لم يأمرهم بفعل ما يشاءون بأموالهم، ولكنه عطفها على ما يعبد فهو معمول للترك أي أن نترك أن نفعل[3]، وفي مثال آخر يبرز فيه ابن هشام فسادا يحصل حين ينظر لظاهر اللفظ، ولا ينظر لأحواله قوله سبحانه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [سورة مريم الآية 05]، يعبر ابن هشام عن هذه الآية فيقول المتبادر إلى الذهن من الوهلة الأولى تعلق من بخفت وهو فاسد في المعنى، والصواب تعلق بالموالي لما فيه من معنى الآية أي خفت ولا يتهم من بعدي وسوء خلافتهم أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليه أي كائنين من ورائي أو فعل الموالي من ورائي وأما من قرأ خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن

---

(1) ابن هشام، مغي اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك – حمد الله، دار الفكر – دمشق، 1364هـ-1964م، ص582.

(2) نفس المصدر، ص582.

(3) نفس المصدر، ص584.

متعلقة بالفعل المحذوف[1]. يوجه ابن هشام عنايه خاصة بسياق الحال والاعتماد عليه بالحكم الإعرابي، فبالمقام يكشف ويبين به المعنى المنشود بالتحديد، وذلك لإزالة الغموض واللبس في العبارة القرآنية.

يتبين من هذين المثالين أن عالم النحو ابن هشام كان يتعامل بالسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي عملية الإعراب، وقد عول عليه في العديد من المواضيع التي من شأنها أن توضح المعاني النحوية كالحذف والإحالات والتقديم والتأخير. الخلاصة الشاملة في هذا هي أن السياق هو عبارة عن عوامل وظروف تحيط بالكلام[2]، منها داخلية في الجملة وهو السياق اللغوي وهو تتابع الكلام وتساوقه وتقوده[3]، ومنها خارجية وهو السياق غير اللغوي وهو ليس سوى حالات ومواقف تحيط بالكلام، وهذا لا يختلف عن معناه اللغوي ففي المعاجم حيث يقول ابن منظور السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذ تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة[4]، وإذا لم يذكره النحاة بصيغته ولم يعرفوه فنلاحظ أنهم قد ولد بشكل مختلف كالمقام والحال والدليل وغير ذلك.

2. السياق عند علماء البلاغة

1.2.السياق عند الجاحظ

" إن بلاغة الكلام تعني مطابقة لمقتضى الحالي مع فصاحته، أي في الجملة أي مطابقته لأي مقتضى من المقتضيات التي يقتضيها الحال، لا المطابقة التامة ومطابقته لسائر المقتضيات"[5] وهنا نطرح سؤالا وجيها: هو ما المقصود بمقتضى الحال؟ يوجد عند علماء البلاغة مقولة معروفة تنص على أنه لكل مقام مقال إذ الحال يختلف مع اختلاف المقامات، والأحوال، فلابد من سياق الكلام حسب المقام الذي يكون فيه

---

(1) نفس المصدر، ص584.

(2) عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي، ط1، دار ابن بطوطة، عمان 2007م، ص98.

(3) عبد الحكيم ابن عبد الله القاسم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية، دار الترمذية، الرياض، ص06.

(4) لسان العرب، مادة سوق، ص2153.

5 _سعد الدين التفتازاني، شروح التلخيص، نشر أدب الحوره، ج1 ص 122

المتكلم أو السامع واردا فيه، وينبغي التكلم بصيغه وهيئة تناسب الوضع وحال المخاطبين، وفي هذا يقول الجاحظ: "المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدوم لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليده ولا معنى شريكه والمعاون له في أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها وهي الخصال التي تقربها من الفهم"[1]. إن الكلام قد يسري ضمن نطاق معين والكلام البليغ هو الذي فيه حسن اختيار الكلمات وتناسبها مع بعضها البعض موضوعة في موضع الذي يليق بها ويليق بمقام الكلام، فيدعو البلاغيين إلى مراعاة المقام وما جرى في الأنفس من معاني قبل التكلم كما يشير الجاحظ على أن الألفاظ منتهية وأن المعاني لا تنتهي فحكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة[2]. ولأجل توصيل تلك المعاني، فإن الكلمات وحدها لا تكفي إذ ينبغي مرافقة تلك الكلمات حركات وإشارات وإيحاءات عن طريق الحواس، يقول الجاحظ: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقه المدخل يكون إظهار للمعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع"[3].

ويضيف الجاحظ حول هذا: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى النسبة، والنسبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلة مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة"[4].

[1]_الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط7 1418هـ_1998م ج1 ص 75

[2]_نفس المصدر السابق ج1 ص 76

[3]_نفس المصدر السابق ج1 ص 75

[4]_نفس المصدر السابق ج1 ص 76

ولنتمعن قليلا في ذكر اللفظ والإشارة فهما بالنسبة للجاحظ شريكان فغالبا ما تنوب الإشارة عن اللفظ، وتقوم مقامه كما أنها تغني عن الخط، وينشر الجاحظ مثالا في ذلك وذلك في بقول الشاعر:

أشارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أهْلِها إشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأيْقَنْتُ أنَّ الطَرْفَ قدْ قَالَ: مَرْحَبا وَ أهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ المتَيَّمِ

وقول شاعر أيضا:

العَيْنُ تُبْدي الذي في قَلْبِ صاحِبِها مِن الشَّناءَةِ أوْ حُبٍّ إذا كان

فالعينُ تَنْطِقُ والأفْواهُ صامِتَةٌ حتى تَرى منْ ضَميرِ القلبِ تِبْيانا

وللإشارة دور في تبيان المعنى من الكلام إذ حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البياني باللسان مع الذي يكون من الدال والشكل، والتقتل والتثني [1]وعليه فحركات اليد والإماءات بالرأس و الإيحاءات هي عبارة عن سياق الحال، وقد ذكره الجاحظ لما عرف البيان فقال عنه : " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون ضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر الغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[2]

ومنه كل دلالة لغوية أو غير لغوية كالإشارات هي بيان، وبالتالي نستخلص أن الجاحظ أبرز السياق في أعماله بفرعه ، صحيح أنه لم يذكره بلفظه وعلى الرغم من ذلك فتعريفه للبيان يوضح مكانة السياق عنده ، وخصوصا حين قال كل شيء كشف لك قناع المعنى فالفهم الجلي للمعنى لا يتم بالكلمات وحدها، بل هناك عوامل أخرى تساعد على كشفه وبلوغه مثل الإشارات كما ذكر سلفا، كما يشترط الجاحظ أثناء الكلام نقاطا مهما وهي مرونة الألفاظ وسلاستها وبعدها عن النفور والغموض بالإضافة إلى حسن التركيب للكلمات، والنسج في ما بينها كما يشترط الانتباه للأحوال المحيطة بالكلام والحركات من الحواس، والتي

[1]_ نفس المصدر السابق ج1 ص79

[2]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 76

تندرج ضمن السياق وتصدر من المتكلم، حيث قال الجاحظ: " وإياك والتواعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف لفظ شريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعن ما تعود من أجله أن تكون أسوء حالا منك قبل أن تلتمس إظهاره، وترتهن نفسك بملابستها وقضاء حقهما".[1]

كما يضيف الجاحظ على هذا القول ما يلي: " فكن في ثلاث منازل، فإن أول الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما وسهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا إما عند الخاصة وإن كنت الخاصة قصدت وإما العامة وإن كنت العامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من المعاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقه الحال وما يجب لكل مقام مقال".[2] فيقصد الجاحظ هنا انه يتعين على المتكلم معرفه قدر المعاني ويقيسها على قدر معاني المستمعين فاصله ومعرفه مقامي الكلام والأحوال المحيطة به كما ينبغي له ان يجعل كلامه احاله للوضع الذي هو فيه وهيئه تكون منسجمه في المكان الذي يوجد فيه الكلام فالهيئة هي عنصر من عناصر السياق الموقفي لأنها إشارة لدلالة الوضع الذي هو عليه.

والكلام له خصوصيات حسب المقام يقول القزويني: " مقتضى الحالي مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يبين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساوات، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام"[3] فقد تبين هنا أن الحديث كان عن المقام أو الحال والذي يعني الهيئة التي يكون عليها المتكلم والمخاطب، وكذلك التركيب الذي يتألف مع عناصر السياق، فالجاحظ قد أبدى بذلك اهتمامه

[1]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 136

[2]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 136

[3]_القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ_2003م ص 20

وعنايته بالسياق من كلا الجانبين، ويتمثل ذلك حول اللفظ من جهة والمعنى من جهة مع تركيب حسن يوافق البيئة المحيطة بالكلام، ومن أقوال الجاحظ الدالة على اعتنائه في السياق في حديثه عن البلاغة حيث قال: " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قوله فضل التصرف في كل طبقه ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية، ولا يهذبها كل التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما، ومن قد تعود حذف الفضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغ، لا على جهة الإعتراض والتصفح ولا على وجه الاستطراف والتطرف قال: "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ويكون الاسم له فاضلا ولا مفضول، ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا، ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظه مونقا ولهول تلك المقامات معاودا"[1] أو في موضع آخر يتناول فيه الجاحظ ظاهرة السياقة في كتابه البيان والتبيين: "البلاغة اسم جامع للمعاني تجري في وجوه كثيره، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرف قافيته فقال: فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف قال إذا أعطيت لكل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو".[2] وهنا يكون الجاحظ قد جمع بين عناصر السياق المتكلم والسامع والمقام ولم يغفل عن الجانب اللغوي فالمعنى لا يتأتى

[1]_البيان والتبيين، ج1 ص 92_93

[2]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 116

من كلمه واحدة وإنما يصب اهتمامه بالأحوال التي سيقت فيها كل كلمة، وما تبعها من دلالات غير لغوية كالإيحاءات والإشارات وغير ذلك.

2.2.السياق عند عبد القاهر الجرجاني

من علماء البلاغة الذين جعلوا من السياق عنصرا هاما في أعمالهم البلاغية نذكر عبد القهار الجرجاني، فقد اعتمد عليه كمنهج متكامل الأركان، فالجرجاني قدم نظرة ذات شمولية حول قضية المعنى بالأخص واللغات بشكل أعم، فقد أبان من خلال نظريته نظرية النظم عن أثرها في تحليل النصوص والجمل واستنباط المعاني، وبرهن بها عن مسالة الإعجاز القرآني، وقد حضيت النظرية باهتمام كبير لمن جاءوا من بعده، لأنها جمعت بين النحو وقواعده وبين البلاغة بفروعها البيان البديع والمعاني، وجعلهما ركنان أساسيان من أركان النظم. ففي تعريفه للنظم يقول الجرجاني: "النظم هو تعليق الكلم ببعضه البعض وجعل بعضها بسبب بعض".[1] أي أن النظم هو عبارة عن علاقات تربط بين الجمل وبين أجزاء الجمل، وهذه العلاقات يقول عنها الجرجاني: "فالاسم يتعلق باسم بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له صفة أو تأكيدا له أو عطف بيان، أو بدلا أو عطفا بحرف أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول وذلك اسم الفاعل كقولنا:(زيد ضارب أبوه عمرا) وكقوله تعالى: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [سورة النساء الآية 75] وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنبياء الآية رقم 02-03] [2]ويقول عن تعلق الاسم بالفعل: " فبأن يكون فاعلا له أو مفعولا فيكون مصدرا قد انتصب به كقولك:(ضرب زيدا) "[3]، وعن تعلق الحرف بين الاسم والفعل مثل حروف الجر يقول الجرجاني : "فهو على ثلاثة أضرب فالأول بأن يتوسط بين الاسم والفعل مثل حروف الجر، والثاني تعلق الحرف بما يتعلق به العطف، وهو

[1] _عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة السعادة، مصر، منقول من نسخة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي، ص (ب)

[2] _نفس المصدر السابق ص (ج)

[3] _ نفس المصدر السابق ص (ج)

أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول كقولك:(جاءني زيد وعمرو)، وثالثا تعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي و الاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه".[1]

وهذه عبارة عن وجوه العلاقات في نظرية النظم وهي أيضا من سمات السياق اللغوي، الذي بدوره يبحث عن العلاقات بين العناصر الجزئية في تركيب الجمل، فينظر لما جاور الكلمات من سوابق ولواحق والروابط التي فيها، فالنظم والسياق يمكن القول أنهما مصطلحان مترادفان لأنهما يملكان ميزات وخصائص متشابهة فهما ينظران للتراكيب في الكلام ضمن أحوال ومواضع معينة، قال الجورجاني:" والبلاغات والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها فاجد بعض ذلك كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء، وبعضه في التنبيه على مكان الخبير يطلب، وموضع ألدفيني ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها ووجدت المعولة ها هنا نظما وترتيبا وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ونسجا وتحبيرا وإن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقه فيها، و إنه هناك يفضل النظم والتأليف التأليف والنسج النسج والصياغة الصياغة".[2]

وعليه يكون الجرجاني قد جمع بين السياق اللغوي وغير في تأسيس نظريته، فقد أشار إلى عناصر غير لسانية مؤثرة في الكلام، فالمعنى من الكلام يتضح لما يكون هناك روابط بين التراكيب الكلامية وما هو خارج ذلك كالأحوال المحيطة به يقول الجورجاني: " وهذه جملة قد ترى في أول الأمر وبادئ الظن أنها تكفي وتغني، حتى إذا نظرنا فيه وعدنا وبدأنا ووجدنا الأمر على خلاف ما حسبناه، وصادفنا الحال على غير ما توهمناه، وعلمنا أنهم لئن أقصروا اللفظ لقد أطالوا المعنى، و إن لم يغرقوا في النزع لقد أبدعوا على ذاك في المرمي، وذلك لأنه يقال لنا ما زدتم على أن قستم قياسا فقلتم نظم ونظم وترتيب وترتيب

[1]_ نفس المصدر السابق ص (د)

[2]_ نفس المصدر السابق ص 33

ونسج ونسج" .[1] ومنه علمنا أن السياق عند الجرجاني يكمن في بناء الكلم وفق وضع يقتضيه الحال و بحسب الأغراض والمعاني التي تستدعي ذلك، ولا يكون هذا البناء إلا وضع يقتضيه قوانين النحو الذي يهتم بإعطاء هيئة تركيبية للكلمات، فالكلمة ليست بكلمة إلا إذا دلت على معنى والمعنى هو المسعى الذي نسعى إليه، ولا يمكن إدراكه إلا إذا تألفت الكلمة فيما بينها ، وحتى تحقق الإفادة لابد من إدراجها في سياق قال عبد القاهر الجرجاني : " فينبغي أن ينظر للكلمة قبل دخولها في التأليف ، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلا إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة ".[2]

وفي النظر إلى موقع الكلمات في التركيب والنسج وتبيان دلالتها ينص الجرجاني في هذا بقوله: " وهل يقع في وهم وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنقد، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف و امتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد، وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا لفظة متمكنة مقبولة وفي خلافه قلقة وناجية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك".[3]

ومن المواضع التي تجلت فيها ظاهرة السياق عند الجرجاني نذكر منها ما ذكره في فصل التحقيق القول في البلاغة والفصاحة ، قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود الآية 44] يقول الجرجاني وعن هذه الآية: " فتجل لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجري ما وجدت من

[1]_ نفس المصدر السابق ص 33

[2]_نفس المصدر السابق ص 39

3_ نفس المصدر السابق ص 39

المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى إرتباط هذه الكلم ببعضها البعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لافت الأولى بالثانية الثالثة والرابعة وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها. وإن الفصل تناتج بينها وحصل من مجموعها"[1]. ويقول الجرجاني في تحليله للآية الكريمة: " إن شككت فتأمل هل ترى لفظه منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية قال "قل ابلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها أو إلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها .و كيف بالشك في ذلك ومعلوما أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم إن كان النداء بيانا دون أي نحو يا أيتها الأرض ثم إضافة الماء إلى الكافي دون أن يقال إبلع الماء ثم إن اتبع نداء الأرض وأمرها من شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم إن قيل وغض فجاء الفعل على صيغة فعل الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر وقدرته قادر ثم تأكيد ذلك وتقريره قوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم ذكرها هو فائدة هذه الأمور وهو استوت على الجودي ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم مقابلة قيل الخاتمة بقيل في الفاتحة"[2].

أبرز الجرجاني في هذا القول ملائمة الألفاظ لمعانيها والمعاني التي تلتها في السياق الذي جاءت عليه كما ما أظهر من خلال هذه العلاقات بين الكلمات في الآية جماليتها وقيمتها ،وإنما عرف ذلك من خلال أثر تلك المعاني في الأنفس ، وسرد تلك الوقائع بإيجاز، فلو تأملنا في الآية الكريمة لوجدناها تسرد لنا تاريخ قوم ظلموا في الأرض في بضع كلمات ، جاء فيها نداء و أمر للأرض والسماء وحين قال غيض الماء فكأنما الأرض والسماء استجابتا على الفور لأمر والفعل غيض بني للمجهول تعظيما لمن قضى ذلك وكذلك في قيل الأولى والثانية وأما في قوله تعالى: ﴿استوت على الجودي﴾ فالمقصود هنا هو السفينة ،كما نلاحظ ترتيب الكلمات في الآية جاءت متسلسلة حسب ما ابتدأ به إلى حيث انتهى

1_نفس المصدر السابق ص 40

2 نفس المصدر ص 40-41.

فكان الأول هو بلع الارض لمائها وثم توقف المطر عن النزول حين ذكر ﴿يا سماء اقلعي﴾، ثم قضي الأمر بهلاك من تقدر هلاك، وأخيرا استقرار السفينة وعودة الأمن لأهلها ونهاية الظالمين .

ويقول الجرجاني :"واعلم أنه لا سبيل إلا أن تعرف صحة هذه الجملة حتى يبلغ القول غايته وينتهي إلى آخر ما أردت جمعه لك وتصويره في نفسك وتقريره عندك إلا أن ها هنا نكته إن أنت تأملتها تأمل المتثبت ونظرت فيه نظرا متأني رجوت أن يحسن ظنك، وإن تنشط للإصغاء إلى ما أورده عليك"[1] وقال الجرجاني:" فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظه وتنبيه واعلام وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجه وبرهان وصفه وتبيان وبهرهم أنهم تأملوا صورة صورة و عشرا عشرا وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظه ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلاق ،بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتآما وإتقانا وإحكاما لم يدعوا في نفس بليغ منهم.[2]

نجد ضمن هذا الكلام أن الجرجاني أشار الى ان السياق يساهم في ترتيب الكلمات والنسج فيما بينها، وبه تتحدد المعاني وتحدد دلاله الالفاظ من مواقعها في الجملة وعلاقتها بما سبقها ولاحقها.

3.2.السياق عند عبد السكاكي

يعد السكاكي من العلماء البلاغيين الذين تأثروا بما عمل عبد القاهر الجرجاني فهذا الأخير يعد إمام البلاغة فكتابيه دلائل إعجاز وأسرار البلاغة هما ركيزتين أساسيتين اللتان اعتمد عليهما السكاكي في بناء قواعدا في علم البلاغة، فقد كان عمل السكاكي أشمل، وذلك بتأسيس تلك القواعد البلاغية التي جعلت من البلاغة علما ثابت الأصول، وقد كان منهجه معتمدا على السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، فالسياق اللغوي يتمثل في التراكيب النحوية وما طرأ عليها من حذف وتقديم وتأخير وفصل

[1]_نفس المصدر السابق ص 35

[2]_نفس المصدر السابق ص 36

ووسط وغير ذلك، و أما السياق غير اللغوي فيدعى عند البلاغيين بمقتضى الحال، ودليل ذلك في تعريفه العلمي المعاني والبيان حيث عرف علم المعاني أنه:" تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، ويعنى بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عن من له فضل تمييز ومعرفة ، وهي تراكيب البلغاء، لا الصادرة عن من سواهم ، لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق.[1]

وفيما يتعلق بالتراكيب يقول السكاكي:" ويعنى بخاصية التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا المجرى اللازم له، لكونه صادرا عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازما له هو حينا، وأعني بالفهم فهم الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب، إن زيد منطلق، إذا سمعته عن المعارف بصيغه الكلام، من أن يكون مقصودا به نفي الشك أو رد الإنكار أو من تركيب، زيد منطلق من أنه يلزم مجرد القصد إلى الأخبار، أو من نحو منطلق. بترك المسند أليه من انه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها.[2]

السكاكي يولي أهمية كبيرة للسياق في تبيان الأغراض والمعاني والمقاصد للكلام، فمساق الكلام هو ما يبين في التركيب ما قدم واخر، وما حذف أو ذكر، وكذلك حال الوضع هو الذي يقتضي الإضناب او الإيجاز، والأسلوب الذي ينبغي اتباعها.

وفي تعريفه للبيان يقول:" فهو معرفة إراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقه الكلام لتمام المراد منه ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة إعتبار، جرى منه مجرى مركب من المفرد، لا جرم

[1]_السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، ط 1 دار الكتب العلمية بيروت، لبنان1403هـ_1987م ص 161

[2]_نفس المصدر السابق ص 161-162

آثرنا تأخيره.[1] فالواضح والجلي من هذان التعريفان أن السياق وارد وبقوة، وقد أشار إليه السكاكي بمصطلحات أخرى كالمقام والمقتضى الحال وهو سياق الحال أو الموقف كما يربط التركيب اللغوي بما يوافق حال المتكلم أو السامع أو مكان الكلام، يقول السكاكي في هذا الصدد: "لكل مقام مقال"، لا يخفى عليه أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعرية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغار مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.[2]

ومن علامات بروز السياق عند السكاكي لما تطرق لمسألة الخبر واحتمالية الصدق والكذب فالحكم على الخبر بالصدق أو الكذب يرجع لعدة أسباب والواقع أحد تلك الأسباب فجاء في كتابه مفتاح العلوم ما يلي:" اعلم أن مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر الذي بحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم، كما تجده فاعلا ذلك إذا قال هو لزيد، هو ليس لزيد، إلى حكم مفعول يشير إليه إشاراتهم إذا قال الذي هو لزيد أو ليس لزيد، فأوقعه صلة للموصول الذي من حقه أن يكون صلته قبل إقترانها به معلومة، أو إذا قال أنه زيد بفتح أن فنقل الحكم بثبوت الزيدية للضمير إلى جعله تصورا مشارا إليه بحكم له أو به، إذا قال حق أنه زيد أو قال الذي أدعيه أنه زيد.[3] فنرى هنا أن مسالة الصدق والكذب في هذه الحالة ترجع للمخاطب كأن تكون معلومة على دراية بها، أو وجود لمحات أو إشارات تقود للحكم على الخبر، كما يشترط السكاكي تحقق هذا الحكم أن يكون الخبر يحمل إفادة للمخاطب فيقول:" فأما السبب في كون الخبر محتمل للصدق والكذب فهو إن كان تحقق ذلك الحكم مع كل

[1]_نفس المصدر السابق ص 162

[2]_ نفس المصدر السابق ص 168

[3]_نفس المصدر السابق ص 166

واحد منهما، من حيث أنه حكم مخبر ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم، ويسمى هذا فائدة الخبر.[1]

إن للسياق دور كبير في إطلاق الأحكام في الكلام فهو المرجع الأساسي لذلك وموضح لمواضيع للكلام ، قال السكاكي:" فإن كان مقتضى الحالي إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن كان مقتضى الحالي طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثبات على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الإعتبار المناسب ، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الإعتبارات المقدمي ذكرها ، إذا كان المقتضى عند إنتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والإيجاز معها أو الإطناب، أعني طي جمل عن البين ولا طيتها، فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك.[2]

ومن المواضع التي تناول فيها السكاكي للسياق نجدها في حديث عن الأساليب الإنشائية الطلبية فعلى سبيل المثال يقول في التمني:" متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما نسب المقام، كما إذا قلت لمن همك همه ليتك تحدثني امتنع إجراء التمني والحال ما ذكر على أصله، فتطلب الحديث من صاحبك مطموع في حصوله، وولد بمعونة قرينه الحالي معنى السؤال، أو كما إذا قلت هل لي من شفيع، في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع، امتنع الاستفهام على أصله، وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني.[3]

[1]_ نفس المصدر السابق ص 166

[2]_نفس المصدر السابق ص 169

[3]_ نفس المصدر السابق ص 304

وفي باب الاستفهام يقول السكاكي:" وأما متى وأيان فهما للسؤال عن الزمان إذا قيل متى شئت وأيان جئت قيل يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا إلى آخره وأيان تستعمل في مواضع التفخيم كقوله تعالى :" يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة الآية 06] وقوله تعالى :"يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ [سورة الذاريات الآية 12] واعلم أن هذه الكلمات كثيرا ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونه قرائن الأحوال فيقال ما هذا ومن هذا المجرد الاستخفاف والتحقير، ومالي للتعجب قال تعالى عن سليمان :" مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ "_ سورة النمل الآية 20 _ وأي رجل؟ هو للتعجب" [1]وعليه فإن السكاكي يجعل من قرائن الأحوال عنصرا هاما في كشف المراد من الكلام سواء أكان طلبي أو خبري، والقرائن ليست إلا سياقات متنوعه تختلف باختلاف الأوضاع.

3. السياق عند علماء أصول الفقه

1.3.تعريف علم أصول الفقه

إن الفقه في اللغة هو الفهم وأما شرعا فهو جملة من العلوم بأحكام شرعية يستدل على أعيانها لا يعلم باضطرار أنها من الدين، وأما الأصول مفردها أصل وتعني الراجح والمستحصب والقاعدة الكلية والدليل، ومنه أصول الفقه هو إدراك القواعد يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية،[2] ويستمد هذا العلم من ثلاثة أركان في مبادئه، أولها علم الكلام وذلك لتوقف الأدلة الشرعية على معرفة البارئ سبحانه، وصدق المبلغ، وهم مبينان فيه مقرره أدلتهما في مباحثه، اللغة العربية وذلك لأن فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما متوقفان عليها، وثالثا الأحكام الشرعية من حيث تصورها، لأن المقصود إثباتها ونفيها، كالأمر للوجوب والنهي للتحريم والصلاة واجبة والربا حرام.[3]

[1]_ نفس المصدر السابق ص 313-314

[2]_الشوكاني، إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول، تح: تامي أبي حفص، ط1، دار الفضيلة، الرياض 1421هـ_2000م ص 58-59

[3]_ نفس المصدر السابق ص 69

2.3.مكانة السياق عند علماء الأصول

كان للسياق حضورا بارزا في عملية الاستنباط والاستدلال وقد أشاد به ابن القيم في كتابه بائع الفوائد وقال عنه:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراث المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ"_ سورة الدخان الآية 49 _كيف تجد سياقه يدل على الذليل الحقير" [1]وقد جعله الإمام الشافعي رحمه الله منهجا يتبعه في تأسيسه لعلم الأصول بحيث ينظر لمكانة السياق ودوره في كشف المعنى المنشود وفهمه، يقول الشافعي ":فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها وعلى ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وإن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، ويستدل في هذا ببعض ما خوطب فيه ، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره ،فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسط أو آخره[2] " كما يلمح له في موضع آخر بقوله:" وتبتدأ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه أخره ، وتبتدأ الشيء يبين آخر لفظه عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الايضاح باللفظ،كما تعرف بالإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به ، دون أهل جهالتها ، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمي بالاسم الواحد معاني كثيرة."

ويضرب الإمام الشافعي مثالا في ذلك قوله تعالى: [واسألهم عن القرية التي كانت البحر إذ يعدون في السبت تأتيهم حيتانهم يوم السبت شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون] _ سورة الأعراف الآية 163 _قال الشافعي ":فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر فلما قال "إذ يعدون في السبت "يدل ذلك على أنهم أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية أو فاسقة

[1]_ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد م4 ص 1314

[2]_الإمام الشافعي، الرسالة، ط2 ، دار ابن الجوزي ج1 1443هـ ص 52

بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنه أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون".1 وقد علق الإمام الشوكاني على هذا القول ": وقد تردد قول الشافعي في ذلك وأطلق الصيرفي جواز التخصيص ذلك ومثله قوله تعالى:[الذي قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم]_سورة آل عمران الآية 173 _وكلام الشافعي في الرسالة يقتضيه فأنه بوب لذلك بابا فقال ":باب الصنفي الذي يبين سياقه معناه وذكر قوله تعالى : " وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ " قال فإن السياق أرشد إلى أن المراد أهلها وهو قوله (إذ يعدون في السبت)2" ويقول الشوكاني نقلا عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ":خص بعض الأكابر الأصوليين أن العموم يخص القرائن القاضية بالتخصيص ، قال ويشهد لهم مخاطبات الناس بعضهم بعضا، حين يقطعون في بعض المخاطبات بعدم العموم، بناء على القرينة، والشرع يخاطب الناس بحسب تعارفهم" 3، قال ولا يشتبه عليك التخصيص بالتخصيص بالسبب غير مختار، فإن السبب وإن كان خاصا فلا يمنع أن يورد لفظ عام يتناوله وغيره كما في قوله تعالى:" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا "_ سورة المائدة الآية38 _ولا ينتهض السبب بمجرد قرينة لدفع هذا بخلاف السياق ، فإنه به يقع التبين والتعيين، أما التبين للمجملات، والتعيين للمحتملات، وعليك باعتبار هذا في ألفاظ الكتاب والسنة والمحاورات تجد منه ما لا يمكنك حصره.4

يعتبر علماء الأصول السياق قرينة من القرائن التي توضح بعض ما لم يذكر في الكلام والدالة على مقاصد الكلام، والقرينة تنقسم إلى قسمين قرينة مقالية وقرينة حالية فالقرينة الحالية تشمل الهيئة والوضع وأحوال المتكلم وكذا المخاطب ومقتضى الحال، وأما القرينة المقالية أو اللفظية إنما هي معاني نحوية وقد تعددت دلالاتها، وفي هذا يقول فخر الدين الرازي ": فإن قال قائل ما الفرق بين هذا المجاز وبين هذا

[1]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 62

[2]_إرشاد الفحول ص 701

[3]_ نفس المصدر السابق ص 701

[4]_ نفس المصدر السابق ص 702

الكذب قلنا الفارق هو القرينة، وهي قد تكون حالية وقد تكون مقالية، أما الحالية فهي أن يعلم بسبب خصوص الواقعة أنه لم يكن للمتكلم داع إلى ذكر الحقيقة فيعلم أن المراد هو المجاز، ومنها أن يقترن الكلام بهيئات مخصوصة قائمة بالمتكلم، دالة على أن المراد ليس الحقيقة بل المجاز، و أما القرائن المقالية فهي أن يذكر المتكلم عقيبة ذلك الكلام ما يدل على أن المراد من الكلام الأول غير ما أشعر به[1]" .فيمكن أن نعتبر من كلامه أن القرائن الحالية هي عبارة عن سياق الحال أو الموقف، والقرائن المقالية هي عوامل لغوية نحوية، وهذا يعد سياق لغوي وهذا لأن الألفاظ في الكلام تدل على معاني بعضها ، ولم نجد عند الرازي تنظير للمصطلح السياقي ولكنه تعامل به تطبيقيا في تتبع كلمات الله في القرآن الكريم وكشف دلالاتها ، إذ فسر وتدبر في آيات الله من خلال ما جاورها وما انفصل عنها، مثال ذلك قوله تعالى :"الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)"_ سورة البقرة الآية 1-5 _ففي هذه الآيات الخمس ذكر للمتقين وصفاتهم وهم يصنفون من أمة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وذلك لقوله تعالى : "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" _سورة البقرة الآية 285 _فالمتقين هم المؤمنون بالغيب والمقيمين الصلاة والمنفقين مما رزقهم الله والمؤمنين بكتاب منزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل على الرسل من قبله و الموقنين باليوم الآخر وبالتالي هم الذين على هدى من ربهم وهم المفلحون.[2] يتبين من هذا المثال أن السياق عند الرازي عبارة عن عناصر لغوية ترتبط فيما بينها وتكون علاقات تفسر وتبين المعاني لبعضها البعض .

[1] _فخر الدين الرازي، المحصول في علم أصول الفقه، تح: جابر فياض العلواني، ط3 ، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ج1 1418هـ_1997م ص 332

[2] _ينظر، فخر الدين الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط1 دار الفكر ج2 1981م ص من 25 إلى 38

ومن الأصوليين الذين نبهوا لضرورة اللجوء إلى السياق بنوعيه نذكر الغزالي الذي تطرق إليه بشكل واضح وجلي، ونجد ذلك في كتابه المستصفى حيث جاء فيه ":ثم إن كان نصا لا يحتمل كفى معرفة اللغة، وإن تطرق الاحتمال إليه فلا يعرف المراد منه حقيقة الانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف كقوله تعالى: "وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ" سورة الأنعام الآية 141_ والحق هو العشر، و إما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى: [والسماوات مطويات بيمينه]_سورة الزمر الآية 67 _ وقوله صلى الله عليه وسلم ":قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، و أما قرائن الأحوال من إشارات و رموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر و التبخيص يختص بتركها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا يفهم المراد أو توجب ظن[1] ويقصد الغزالي بهذا القول أن القرينة يمكن أن تكون لفظا ظاهرا واضحا أو أن تكون إشارات أو رموز أو إحالة على دليل عقلي.

إن الكلام عند الغزالي ينقسم إلى قسمين قسم دال على شيء وقسم لا يدل على أي شيء أي أن الكلام الذي يدل على معنى فهو مفيد، وأما غير المفيد فهو الذي لا يفي بالغرض المطلوب، وقال عن هذا ":اعلم أن الأمور منقسمة إلى ما يدل على غيره وإلى ما لا يدل فأما ما يدل فينقسم إلى ما يدل بذاته، وهو الأدلة العقلية، وإلى ما يدل بالوضع وهو ينقسم إلى صوت وغير صوت كالإشارة والرمز[2]" وعن تحقيق الإفادة وفهم المغزى من الكلام قال الغزالي ": واعلم أن المفيد من الكلام ثلاثة أقسام، اسم وفعل وحرف كما في علم النحو، وهذا لا يكون مفيدا حتى يشتمل على اسمين أسند أحدهما إلى الآخر نحو زيد أخوك ، والله ربك ، أو اسم أسند إلى فعل نحو قولك ضرب زيد ، وقام عمرو، و أما الاسم والحرف كقولك زيد من أو عمر في ، فلا يفيد حتى تقول من مصر أو في الدار وكذلك قولك ضرب

[1]_الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: أحمد زكي، ط1، دار الميمان، الرياض ج1 ص 339

[2]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 334

قام ، لا يفيد إذا لم يتخلله اسم و كذلك قولك ، من في قد على[1]" ثم ينتقل في الحديث إلى المركب من الاسم والفعل والحرف فيقول ": واعلم أن المركب من الاسم والفعل والحرف تركيبا مفيدا ينقسم إلى ما لا يستقل بالإفادة من كل وجه وإلى ما لا يستقل بالإفادة أصلا إلا بقرينة ، وإلى ما يستقل بالإفادة من وجه دون وجه[2] " ثم يواصل الغزالي ضرب الأمثلة لكل قسم فيقول ":فالذي لا يستقل بالإفادة من كل وجه مثال قوله تعالى "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا"_ سورة الإسراء الآية 32 _ وقوله تعالى أيضا "**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**" سورة النساء الآية 29_ فهذه آية معناها ظاهر من لفظها و أما الذي لا يفهم إلا بفحواه، بحيث أنه اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشتم، وما وراء فالتيل و الدرة، من المقدار الكثير أسبق إلى الفهم منه من الدرة، و الفتيل و التأفيف، ومن قال أن هذا معلوم بالقياس إن أراد به أن المسكوت عنه عرف بالمنطوق فهو حق، وإن أراد به أنه يحتاج فيه إلى التأمل أو يتطرق إليه احتمال فهو غلط[3]" وأما الذي لا يستقل إلا بقرينة فكقوله تعالى: "**أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**" سورة البقرة الآية 237_ وقوله تعالى: "**ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**" _سورة البقرة الآية 228 _وكل لفظ مشترك ومبهم، وكقوله رأيت أسدا وحمارا وثورا إذا أراد شجاعا وبليدا فإنه لا يستقل بالدلالة على مقصوده إلا بقرينة[4]، وعن الذي يستقل من وجه دون وجه مثل قوله تعالى: [وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] فإن الإيتاء ويوم الحصاد معلوم، ومقدار ما يؤتى غير معلوم[5] .وهذه الأقسام الثلاثة ليست إلا إشارات للسياق ودوره في تحقيق الغرض والوصول إلى المعنى المرصود من الكلام ، فهو عند الأصوليين سبيل في فهم المعاني والمقاصد الشريعة الإسلامية ، وعالم الأصول لا تنحصر مهمته في ذلك ، بل وتشمل أيضا وضع القواعد والقوانين التي تضبط عملية الاستقراء والتحليل، من بينها العلم باللغة العربية و الاحاطة بها ، فكتاب الله

[1]_ نفس المصدر السابق ص 334

[2]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 334

[3]_ نفس المصدر السابق ج1 ص 335

[4]_ج1 ص 336

[5]_ج1 ص 336

جاء بلسان عربي ومعرفة مضامينه وغايات آياته لا تدرك إلا بمعرفة لغة العرب، والنظر في كيفيه استعمالهم لها وكيف ركبت الألفاظ ونسجت وألفت فيما بينها وفي أي سياق دار الاستعمال فالحكم بالحلال والحرام بدون تفقه للغة وفهمها لا يصح فقد يكون الحكم باطلا ويدخل صاحبه في باب قوله صلى الله عليه وسلم :" من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"_ رواه البخاري_ " فكل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة بل التفقه في المعبر عنه وما المراد به هذا لا يرتاب فيه عاقل ولا يصح أن يقال إن التمكن في التفقه في الألفاظ و العبارات وسيلة إلى التفقه في المعاني بإجماع العلماء فكيف يصح إنكار ما لا يمكن إنكاره ولإن الانشغال بالوسيلة و القيام بالفرض الواجب فيها دون الاشتغال بالمعنى المقصود لا ينكر في الجملة، و إلا لزم ذم العلم العربية بجميع أصنافه ، وليس كذلك باتفاق العلماء "[1]، فغاية البحث الأصولي هو فهم مقاصد المتكلم لأنه طريق التشريع ومنه يوصل به إلى الحكم ، وهذا الفهم لا ينجلي حتى ينظر في الكلام باعتباره لسان ، ولابد من ربط أوله بآخره وآخره عن أوله كما نص الشافعي مسبقا والبحث عن معانيه حسب السياق الذي وجد فيه حيث قال الإمام الشاطبي: " فالمساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم البيان والمعاني فالذي يكون على بال من المستمع و المتفهم والالتفات إلى أول الكلام و آخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها ؛ فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده ، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في موطن واحد وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه لا بحسب مقصود المتكلم ، فإذا صح له الظاهر على العربية رجع إلى نفس الكلام فعما قريب يبدو له منه المعنى

[1]_الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى مصر، مطبعة الرحمانية، مصر، ص 410-411

المراد فعليه بالتعبد به، وقد يعينه هذا المقصد النظر في أسباب التنزيل ، فإنها تبين كثيرا من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر"[1].

3.3.أثر السياق في استنباط الأحكام الشرعية

يعد المتكلم والسامع عنصرين من عناصر السياق بالإضافة إلى النص والأحوال والظروف المحيطة به، وهذه العناصر كلها تنبه لها دارسو علم الأصول، والمفاهيم تختلف بين المتكلم والسامع فالتوافق بينهما من أهداف السياق لأنه المرجع الأساسي في الحد من اختلاف المعاني وتعددها، وإزالة الملابسات والغموض وتوصيل مراد المتكلم للسامع كما هو مقصود بالتمام، وأشبه ذلك عند الأصولي السرخسي حيث عقد بابًا أسماه باب أسماء صيغة الخطاب باستعمال الفقهاء وأحكامها. فذكر أربعة أمور وهي الظاهر والنص والمفسر والمحكم[2]، فالظاهر هو: " ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل، وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام لظهورها موضوعًا فيما هو المراد، مثال قوله تعالى: [يا أيها الناس اتقوا ربكم] _سورة الحج الآية رقم 01_ " والنص " فما يزداد وضوحًا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم، ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرًا بدون تلك القرينة " ويقول السرخسي عن النص بأنه ما يزداد وضوحًا للمعنى من المتكلم، يظهر ذلك عند المقابلة بالظاهر عامًا كان أو خاصًا، إلا أن تلك القرينة لما اختصت بالنص دون الظاهر، جعل بعضهم الاسم للخاص فقط، وقال بعضهم، النص يكون مختصًا بالسبب الذي كان السياق له، فلا يثبت به ما هو موجب الظاهر، وليس كذلك عندنا، فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب عندنا على ما نبنيه، فيكون النص ظاهراً بصيغة الخطاب نصاً باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها، وبيان هذا قوله تعالى: "**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا**"سورة البقرة_، فإنه ظاهر في إطلاق البيع نص في الفرق بين البيع والربا، بمعنى الحل والحرمة، لأن السياق كان لأجله، لأنها نزلت رداً على الكفرة في دعواهم المساواة بين البيع

[1]_ نفس المصدر السابق ص 413-414

[2]_ السرخسي، أصول السرخسي، تح: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتاب العربي 1372هـ طبعه رضوان محمد رضوان ص 163-164-165

والربا كما قال تعالى: "**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**"والمفسر يقصد به: " اسم للمكشوف الذي يعرف المراد به مكشوفًا على وجه لا يبقى معه احتمال التأويل فيكون فوق الظاهر والنص "، وأما المحكم، فهو زائد لأنه ليس فيه احتمال التأويل والنسخ والتبديل لأنه واضح >>. وهذه الأسماء التي ذكرها السرخسي يقابلها أربعة أخرى وهي الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه.[1] فنرى من خلال هذه المفاهيم أن المسألة تتعلق بدرجات الوضوح ودرجات الغموض، فدرجات الوضوح يكون الظاهر أقلها، وأما النص وإن حدث فيه التباس أو يحتمل لأكثر من معنى فالقرينة المقترنة باللفظ من المتكلم توضح المراد منه، ثم المفسر فينبغي أن يكون مكشوفًا وأكثر وضوحًا من الظاهر والنص، والمحكم هو الأكثر وضوحًا لأنه لفظ دال على الغرض المقصود وبين في معناه، وفي المقابل أيضًا نجد الأسماء الأربعة الأخرى: الخفي والمشكل والمجمل والتشابه تتفاوت من حيث الغموض، والخفي هو أدنى درجات الغموض يليه المشكل والمجمل ثم المتشابه وهو أقصى درجات الخفاء، فقط قال الله عز وجل والراسخون في العلم من بإمكانهم بلوغ المراد منه، ومجمل القول هو أن السرخسي عوّل على السياق باعتباره مرجعًا لفهم الدلائل من النصوص القرآنية والمقاصد الكلامية والاستعانة به في تحديد القواعد والأحكام الشرعية. وعلى إثر كل هذا فإن للسياق دورًا في استنباط الحكم الشرعي من الآيات القرآنية نذكر مثالًا قوله تعالى: "**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** "_ سورة البقرة الآية 158 _، وقد اختلف العلماء في مسألة السعي بين الصفا والمروة بين الإباحة والوجوب، فمنهم من أخذ بظاهر الحديث على أنه تطوع وليس فرضًا كأنس بن مالك والزبير رضي الله عنهما، وأما الثوري والكوفيون فيرون أنه واجب إذا ناب عند الدم، وكذلك عائشة رضي الله عنها حكمت على السعي بالفرض وسرى على ذلك الإمام الشافعي[2]، وفي الحديث الذي دار بين عائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهما حيث قال الزبير: " سألت عائشة فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى ""**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ**

[1]_ نفس المصدر السابق ص 168-169

[2]_ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تعليق: ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض ج 4 ص 323

أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا "، وقلت لعائشة: والله ما على أحد جناح إلا يطوف بالصفا والمروة، قالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت لا جناح عليه إلا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون بالمشلل، وكان من أهلها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، أنزل الله تعالى ذكره "**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** "، قالت عائشة: ثم قد سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما".[1] فنستخلص من هذا الحديث أن عروة بن الزبير رضي الله عنه استند إلى السياق اللغوي، ولكن هذا التأليف لا يعني أنه دل على إباحة السعي، وأما عائشة رضي الله عنها فقد جعلت سبب نزول الآية دليلاً على وجوب السعي، وقد بان ذلك في قولها بأن الآية جرت على رفع الحرج من نفوس الأنصار، وهذا سياق الحال، وهذا يثبت أهمية السياق في تبيان المعاني من كلام الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

4. السياق عند علماء التفسير

1.4.تعريف علم التفسير وطرقه

جاء في لسان العرب: " الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا وفسره، أبانه، والتفسير مثله والتفسير والتأويل والمعنى واحد وقوله عز وجل: [وأحسن تفسيرا][2]. الفسر هو كشف المغطى، والتفسير كشف المراد من اللفظ المشكل". أما في الاصطلاح فهو العلم بنزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكية ومدنيتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصتها وعامتها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها

[1]_ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن تح: محمود شاكر، ط2 مكتبة ابن تيمية القاهرة، ج3 ص 236

[2]_لسان العرب، مادة فسر، ص 3412

وعبرها وأمثالها[1]. إذاً فالتفسير هو النظر في آيات الله عز وجل والبحث في معانيها وتبيان الغايات منها. وطرق التفسير طريقان: الأول التفسير بالمأثور، والثاني التفسير بالرأي. فما المأثور؟ فيشمل القرآن الكريم والسنة وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين. وأما التفسير بالرأي، فيعني الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقًا أي مستندًا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدًا عن الجهالة والضلالة، له ومنه الجائز وغير الجائز[2]. ويقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: " والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، وإن لم تجد، قال اجتهد رأيي، وحينئذ إذا لم نجد التفسير لا في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علمائهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين"[3]. ويرى الزركشي أن أحسن طرق التفسير أن تفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى: " **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** 64("_سورة النحل الآية 62_ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه" يعني السنة، فإن لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن. [4]

2.4.أهم الشروط وأدوات التفسير

يعد علم التفسير من أصعب العلوم، فهو يتعلق بكتاب الله عز وجل، حيث قال تعالى: "**يس** وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ "- سورة يس الآية 1 - فهو الذي أقسم بكتابه وما فيه من آيات محكمات، فيتعين على المفسر

[1]_الإمام السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفصل إبراهيم، من إصدارات المملكة العربية السعودية ج4لاص 169

[2]_محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1 1415هـ-1995م ص 42

[3]_ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1 1420هـ-2000م ص 10

[4]_الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أحمد علي دار الحديث القاهرة 1427هـ_2006مص 432

أن يدرك جيدًا أن مسألة التفسير تستدعي مجموعة من الضوابط والشروط التي لابد من الوقوف عليها واتباعها، حتى يتسنى له تناول كتاب الله تعالى، وهذه الشروط ننقلها لكم كالآتي:

01_ معرفته باللغة العربية: حيث: "ا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغة العرب."[1]

02_ النحو، المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فشرح الألفاظ وكشف مدلولاتها حسب الوضع الذي هي فيها.

03_ الصرف: حيث تُعرف به معاني الصيغ والأبنية للكلمات وما اشتق منها.

04_ البلاغة بفروعها الثلاث: المعاني والبيان والبديع: فعلم المعاني يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، والبيان من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، والبديع هو وجوه تحسين الكلام،[2] والبلاغة من أعظم أركان التفسير، إذ لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز.

05_ علم القراءات

06_ علم أصول الفقه

07_ أصول الدين

08_ أسباب النزول

09_ الناسخ والمنسوخ

10_ الأحاديث النبوية

11_ الموهبة. [3]

[1]_الإتقان ج4 ص 185

[2]_ نفس المصدر السابق ج4 ص 187

[3]_ نفس المصدر السابق ص 188

ويُقصد بأدوات التفسير الحروف وما شابهها من الأسماء والأفعال والظروف، وهي التي تنبه عن اختلاف الكلام حسب موقعها. يقول عنها الإمام السيوطي: "وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف. اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها، كما في قوله تعالى: [وَإِنَّا أَوَإِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] _سورة سبأ الآية 24_. فاستُعملت "على" في جانب الحق، و"في" في جانب الضلال؛ لأن صاحب الحق كأنه مستعلٍ، بصرف نظره كيف يشاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه."[1] فسياق الآية يشير على أن أهل الضلالة محاطون بها فاستُعملت في الظرفية، ومثل ذلك قوله تعالى" **أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** "_سورة البقرة_، أما على، فهي تفيد الاستعلاء ويعنى بذلك التصرف في الاستعمال بحرية، وذلك لقوله تعالى: " **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ**"_ سورة البقرة الآية 05_. ولما لهذه الأدوات من أهمية كبيرة في توجيه معنى الآية، مثل ذلك بقوله تعالى"فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) **الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) 5** (" _سورة الماعون الآية 04_، قال ابن عباس: "الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل في صلاتهم ساهون"، وسيكون لنا نماذج أخرى فيما بعد.

3.4.أثر السياق في تفسير آيات الله عز وجل

لقد دعا علماء التفسير من بينهم الزركشي إلى ضرورة الفهم والتبحر في العلوم قبل الرجوع إلى كتاب الله تعالى حيث قال في البرهان:" كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم وعامل الله بتقواه في السر والعلانية، وأجله عند مواقف الشبهات واللطائف والحقائق، لا يفهمها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، فالعبارات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل واللطائف للأولياء وهي للمشاهد والحقائق للأنبياء وهي الاستسلام، ولكل وصف ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد إحكام الحلال والحرام والمطلع أي إشراق من الوعد والوعيد، فمن فهم

[1] _ج2 ص 140

هذه الملاحظة، بان لهم بسط الموازنة، وظاهره له حال المعاينة وفي صحيح ابن حيان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منه ظهر وبطن".[1]

ومن الأمور التي ينبغي الاطلاع عليها قبل التفسير هي: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأخذ بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم والأخذ بمطلق اللغة والتفسير بمقتضى معنى الكلام والمقتضب هو قوة الشرع. ومن الأمور التي ينبغي الاطلاع عليها قبل التفسير: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأخذ بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، والأخذ بمطلق اللغة والتفسير بمقتضى معنى الكلام والمقتضب هو قوة الشرع[2]. فيترتب على المفسر في البداية الرجوع إلى الألفاظ التي استعملت زمن نزول القرآن الكريم، والنظر في كيفية تركيبها من حيث الإبانة والإعراب ثم مراعاة الجمالية في بيانها، فسبب النزول يعد مدخلاً في توضيح المعاني، وبعد ذلك يبحث في الآيات وعلاقتها بما جاورها من أخواتها، أو ما انفصل عنها في موضع آخر، فمقاصد الآية لا تظهر إلا من السياق الذي جاءت عليه. وقد اعتمد علماء التفسير في استنباطهم لمعاني الآيات وتبيان مقاصدها والمراد منها على السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي حيث كان له دور بارز في إزالة الغموض والملابسة عن معنى الآية، فمن جانب اللغة فقد تتبعوا الكلمات ونظروا في العلاقات بين الألفاظ المجاورة لبعضها والمنفصلة عن بعضها، وأما من حيث الأحوال فقد استعانوا بمجموعة من قرائن الأحوال كالمقام والشواهد والظروف المحيطة بهم، وقال الزركشي: "واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عما يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان، فلا شك في اعتمادهم، وإن فسَّره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت الأقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك، وأما الثالث فهم رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا إلى أحد من

[1] _البرهان، ص 419

[2] _ نفس المصدر السابق ص 421-423

الصحابة رضوان الله عليهم، فحيث جاز التقليد فيما سبق فكذا هذا، وإلا وجب الاجتهاد، والثاني ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها حسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيرًا في كتابه المفردات، فيذكر قيدًا زائدًا على أهل اللغة في تفسير مدلول الألفاظ لأنه اقتنصه من السياق". [1] ومن آيات الله ما تفسر نفسها بنفسها، وذلك بالنظر لما لحقها وما سبقها، كقوله تعالى: [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)] وقوله تعالى: [إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)][2] _سورة المعارج الآية 19-20-21_، حيث توضح معنى الله أحد من حيث ما جاء عاقبه وكذلك في قوله هلوعًا فمعناها ما ورد بعدها. فهي آيات واضحة لا تستدعي بيانًا. ومن آيات الله ما ينبغي تقسي معانيها في مواضع أخرى تكون منفصلة عنها نحو قوله تعالى: [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] _سورة الفاتحة الآية 03_، فنجد يوم الدين هو حين قال: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ "]** [3] _سورة الانفطار الآية 16-17-18_ ومن آيات الله ما يكون بعض أجزائها مضمرًا كقوله تعالى: "**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**"_سورة الزمر الآية 73 _فحتى هنا لا بد لها من تمام، وتأويلها حتى إذا جاؤوها، جاؤوها وفتحت أبوابها.[4] ونلاحظ أهمية السياق في إبراز التوافق والتناسب بين الآيات والسور في القرآن الكريم فبعض السور هي عبارة عن تفصيل وشرح لسور أخرى وقال الإمام السيوطي عن هذا: "إن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب الإيجاز، وقد استقر معي ذلك في غالب سور[5]

[1] _ نفس المصدر السابق ص 420-421

[2] _ نفس المصدر السابق ص 437

[3] _ نفس المصدر السابق ص 439

[4] _ نفس المصدر السابق ص 437

[5] _ الإمام السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1406هـ-1986م، ص 65

القرآن طويلها وقصيرها وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة". وعن العلاقة بين سورة البقرة وسورة الفاتحة يقول: "أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى قال: قد أعطيتكم ما طلبتم، هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول، ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاثة الذين ذكرهم في سورة الفاتحة، فذكر الذين على هدى من ربهم وهم المنعم عليهم، والذي اشترى الضلالة بالهدى وهم الضالون والذين باءوا بغضب من الله وهم المغضوب عليهم» وهذه العلاقات التناسبية بين السور والآيات لا تظهر حتى يتم تحليلها نصيًا وفق آفاق لغوية والنظر فيها من سياق معين والبحث في مضامينها والقرائن الحالية التي تكشف عن علاقات بينها.[1] وفي موضع آخر نبين فيه تعامل المفسرين بظاهرة السياق في تفسيرهم للقرآن حيث قال العز عبد السلام عن ذكر صفات الله عز وجل في القرآن: "المختار في الصفات الواردة في القرآن أن تكون مناسبة لسياق ما قرنت به"[2]، ويضرب مثالًا في ذلك قوله تعالى:" **وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** "سورة المائدة الآية118_، يقول العز عن هذه الآية: "وقد أشكل على ذلك هذه الآية حتى حكى بعض القراء أنه غيرها لسخافة عقله، وكان يقرأ "فإنك أنت الغفور الرحيم" حتى حبس وضرب سبعة درر ويشرع في تفسيره للكلمة العزيز معناها الممتنع من المكروه، ومعناها أيضًا الذي لا نظير له وأيضًا معناها النفيس، والمراد بالعزيز هنا الذي لا نظير له فالمعنى: وإن تغفر لهم فإنك أنت الذي لا نظير لك في غفرانك وسعة رحمتك فإنك أولى من رحم وأجدر من غفر وستر والحكيم الذي لا يفعل شيئًا إلا في مستحقه، وهم مستحقون ذلك لفضلك وضعفهم". ومما يؤيد لا بد من ربط هذه الصفات وما قرن.[3]

[1]_ نفس المصدر السابق ص 65

[2]_عز الدين عبد السلام، فوائد في مشكل القرآن، دار الشروق، جدة ط1 1387هـ- 1967م، ط2 1402هـ- 1982م ص 115

[3]_ نفس المصدر السابق ص 115-116

ومن المفسرين الذين أعطوا للسياق عنايةً خاصةً وجعلوه سبيلاً في فهم الآيات والصور ورصد معانيها ومقاصدها نذكر إمام المفسرين ابن جرير الطبري حيث حرص كل الحرص على تبيان معاني كتاب الله وتتبع كلماته وكل المواضيع التي تدل وتحيل إليها، وأمثلة على ذلك نذكر منها قوله تعالى:" وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ" _ سورة البقرة آية 118_، قال ابن جرير: "اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: {لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية} فقال بعضهم: عني بذلك النصارى دون غيرهم لأن ذلك في سياق {خبر الله عنهم وعن افترائهم عليه}، وادعائهم له ولداً، وهذا الافتراء والادعاء على الله عز وجل منهم، قد سبق منهم في الآيات التي قبلها." 1 ومثال آخر قوله تعالى:" لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ" _ سورة البقرة آية 177_ ذكر ابن جرير في كتابه جامع البيان قولين، القول الأول: { ليس البر الصلاة وحدها، ولكن البر الخصال التي أبينها لكم ويكون الخطاب حينئذ للمسلمين }، والقول الثاني: { أن المقصود اليهود والنصارى فاليهود تصلي جهة المغرب والنصارى تصلي جهة المشرق، فأنزل الله فيهم هذه الآية يخبرهم أن البر غير الذي يعملون }، ثم قال أبو جعفر، وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية أن يكون عني بقوله ليس البر اليهود والنصارى ، لأن الآيات التي قبلها مضت لتوبيخهم ولومهم، والخبر عنهم، وعما أعد لهم من أليم العذاب وهذا سياق في قبلها.[2] ومثال آخر قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**"سورة المائدة الآية 51_ يقول ابن جرير عن هذه الآية:"اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية وإن كانت مأمورًا بذلك جميع المؤمنين " فقال بعضهم عني بذلك عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول في براءة عبادة من حلف اليهود وفي تمسك عبد الله بن أبي بن سلول بحلف اليهود، بعدما ظهرت عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسك بحلفهم أنه منهم في براءته من الله ورسوله كبراءته منهما وقال آخرون بل عني بذلك قوم من

[1] _دلالة السياق القرآني، ص 100

[2] _ نفس المصدر السابق ص 101

المؤمنين كانوا هم حين نالهم بأحد من أعدائهم من المشركين ما نالهم، أن يأخذوا من اليهود عصمة أي عهود فنهاهم الله عن ذلك وأعلمهم أن من فعل ذلك منهم فهو منهم وعن الصدي قال: لما كانت وقعة أحد اشتد على طائفة من الناس وتخوفوا أن يُدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فالحق بذلك اليهودي فآخذ منه أمانًا وأتهود معه، فإني أخاف أن تدال علينا اليهود، وقال الآخر: أما أنا فالحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فآخذ منه أمانًا وأتنصر معه، فأنزل الله تعالى ذكره. فأنزل الله تعالى ذكره ينهى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) 51("وقال آخرون: بل عني بذلك أبو لبابة بن عبد المنذر في إعلامه بني قريظة إذ رضوا بحكم سعد أنه الذبح قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعًا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، وأخيرًا أنه من اتخذهم نصيرًا أو حليفًا ووليًا من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى الرسول والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان، وقد يجوز أن تكون الآية قد نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلوم وحلفائهما من اليهود، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر الصدي ولم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر تثبت بمثله حجة فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل، فإذا كان ذلك فالصواب أن يحكم الظاهر التنزيل بالعموم على ما عم، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي اليهود أو النصارى. خوفًا على نفسه من دوائر الدهر لأن الآية التي بعد هذه تدل على ذلك [1]وذلك قوله تعالى: "فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ"_ سورة المائدة الآية 52 _ والمرض الذي ذكر في هذه الآية هنا هو النفاق وسياق هذه الآية يدل على أن المخاطب هنا منافق ولأجل ذلك جوز الإمام الطبري الأقوال الثلاثة.

[1]_ جامع البيان: ج10 ص 395- 396 397-398

الفصل الثاني: السياق من خلال واقع الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة

تمهيد:

تطرقنا سابقا لفكرة السياق عند علماء العرب واستعمالات لها في عدة مجالات، ويعني هذا أن السياق الذي تناوله دارسي اللسانيات المحدثون إنما هو استمرار لجهود الدراسات اللغوية لكن لا من الإنصاف بالقول أنهم قاموا بصياغة مفاهيم حول السياق على شكل نظرية يمكن تأسيسها وتطبيقها في استكشاف المعاني والأغراض من الكلام .

1. السياق في الدرس اللساني الحديث

1.1.السياق ف.دي سوسير

في سنة 1916 ظهر كتاب العالم السويسري " فرديناند دي سوسير" (دروس في الألسنية العامة), وقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير في الدراسات اللغوي الحديثة ،نظرا لاحتوائه على مبادئ لغوية عامة،وهي بدورها أصبحت أساسيات في البحث اللساني ، فقد تناول سوسير علم العلامات ،وجعل من اللغة فرعا من فروعه،وذلك لما عرفها بأنها [نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار]1،وذكر أيضا مجموعة من الثنائيات منها ثنائية اللغة والكلام، وثنائية السياقية والإيحائية،وعرض الفرق بين الدال والمدلول والعلاقة بينهما،وقد كانت العناصر اللغوية موضوعا شاغلا في مقولات سوسير والتي سعى منها إلى تبيان حقيقة النظام اللغوي،فتوصل إلى مسألة العلاقات بين الكلمات،وصنفها إلى صنفين، صنف العلاقات السياقية وصنف العلاقات الترابطية،فالعلاقات السياقية هي [علاقة حضورية تقوم على عنصرين فأكثر،كلها متواجدة في نفس الوقت ضمن سلسلة العناصر الموجودة بالفعل]2،وهي تندرج داخل لخطاب بشكل تسلسلي قائمة على صفة خطية،فتنتظم تواليا فيما بينها،وهذا يعد مبدءا أساسيا لفكرة السياق،فهو[يتركب دائما من وحدتين متتاليتين فأكثر مثل إذا كان الطقس جميلا خرجنا،والكلمة إذا وقعت في سياق ما،لا

[1] دي سوسير،دروس في الألسنية العامة،تر: صالح القرمادي 1985،الدار العربية للكتاب ص 37.

[2] نفس المرجع ص 187.

تكتسب قيمة إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا[1]، وأما العلاقات الترابطية فهي [تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية ضمن سلسلة وهمية موجودة بالقوة مجالها الذاكرة]2، ويمكن إدراكها خارج الخطاب،بحيث أن [الكلمات المتضمنة لشيء ما مشترك بينها تترابط في الذهن فتكون بذلك مجموعات تقوم في صلبها علاقات شتى شديدة النوع]3. وفي الحديث عن العلاقات الترابطية يمكن اعتبارها علاقات بين الكلمات ترتبط فيما بينها عن طريق إيحاءات ذهنية،فالكلمة قد توحي إلى كلمات أخريات تشترك فيما بينها في بعض الخصائص ويفصل دي سوسير في هذا القول:[إن المجموعات التي تتكون عن طريق الربط بين عناصرها ذهنيا لا يقتصر فيها الإنسان عن التقريب بين العناصر التي تشترك في بعض الخصائص بل يدرك الذهن بالإضافة إلى ذلك كطبيعة العلاقات التي تربط بينها في كل حالة من الحالات فينشئ بذلك عددا من السلاسل الترابطية يوافق عددا من العلاقات المختلفة]4 ويقدم مثالا على ذلك،[ففي الكلمات التالية (تعليم،علم،تعلم...الخ) عنصر مشترك بينها هو الجذر،لكن قد تدخل كلمة تعليم ضمن مجموعة تعتمد عنصرا مشتركا آخر كالصيغة مثلا (أنظر تعليم،تسليح،تبديل...الخ) وقد يقوم الترابط أيضا على مجرد ما بين المدلولات من تشابه (أنظر تعليم، تربية، تمرن...الخ) أو بالعكس على مجرد تشابه الصور الأكوستيكية (مثل تعليم ومليم)]5 ويمكن من خلال قوله أن نقسم العناصر اللغوية إلى أربع مجموعات:

1. مجموعة عناصر تشترك في الجذر: تعليم، علم.
2. مجموعة عناصر تشترك في الصيغة:تعليم، تسليح، تبديل.
3. مجموعة عناصر تشترك في حقل دلالي: تعليم، تربية، تمرن.

[1] نفس المرجع ص 186.
[2] نفس المرجع ص 187.
[3] نفس المرجع ص 187.
[4] المرجع السابق ص 189.
[5] نفس المرجع ص 189.

4. مجموعة عناصر مشتركة أكوستيكيا: تعليم،مليم.

كما نلاحظ في هذه المجموعات تشارك عناصر لغوية في المعنى والصيغة،وتشترك من ناحية أخرى بالاقتصار على أحدهما. وأيضا يجدر الإشارة إلى أن هذه العلاقات الترابطية بين الكلمات لا تتقيد بترتيب معين ولا يمكن حصرها،وإنما الذي يشرف على ذلك هو السياق،فهو يوحي بوجود ترتيب تعاقبي وعدد معلوم من العناصر اللغوية،لأن السياق [لا ينطبق على الكلمات الفرادى فحسب،بل وكذلك على مجموعات الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع (الكلمات المركبة والمشتقات،وأجزاء الجمل والجمل كاملة)]1.

وتناول سوسير موضوع السياق ضمن إطار ثنائيتي اللغة والكلام فيطرح تساؤلا [إن الجملة أحسن نموذج يمثل السياق،إلا أنها من المشمولات اللفظ لا اللغة،أفلا ينجر ذلك أن يكون السياق من مشمولات اللفظ؟]2، فهنا يعتبر سوسير السياق ضمن خصائص الكلام حيث قال:[إننا لا نقول بهذا الرأي لأن أخص خصائص اللفظ هو ما يتمتع به المرء من حرية في التوليف بين مختلف العناصر]3، ويتساءل سوسير مرة أخرى حول إن كانت جميع السياقات متساوية في درجة حرية التوليف بين عناصرها، ويقدم إجابة إلى هذا السؤال حيث قال:[يجد المرء عددا كبيرا من العبارات المنتمية إلى اللغة وهي عبارات جاهزة يمنعنا الاستعمال من إلحاق أي تغيير بها وإن تيسر لنا أن نقف فيها بعد التأمل على عناصر دلالية (مثل طالما وليت شعري...الخ)، كما نلاحظ نفس الظاهرة وإن كانت أقل بروزا في عبارات من قبيل،أغبر وجهه أو هام على وجهه أو رغم أنفه أو لفظ أنفاسه أو الله أعلم، فكلها عبارات شاع استعمالها لما فيها من خصائص المعنى أو التركيب وليس بوسع المرء أن يرتجل مثل هذه العبارات بل يتلقاها من العرف]4. ومنه فإن سوسير

[1] نقس المرجع ص 188.

[2] نفس المرجع ص 188.

[3] نفس المرجع ص 188

4 المرجع السابق ص 188.

يميز بين نوعين من السياق، سياق ينتمي إلى اللغة وهي سياقات مطردة، متداولة عرفيا، لا مجال للتبديل أو التغيير فيها مثل الأمثال والعبارات المسكوكة كتلك الأمثلة السابقة، وسياق ينتمي إلى الكلام وهي سياقات حرة في التأليف، ولأن سوسير ميز بين اللغة والكلام، حيث جعل اللغة خاصية اجتماعية ونظاما من الرموز والقواعد، وأما الكلام فهو خاصية فردية وهو تحقيق فعلي لتلك القواعد، وقد ركز سوسير أيضا على اللغة أكثر من الكلام، فالكلام عنده متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة بما فيها الفيزياء والفيزيولوجي والنفسي، منتميا في الآن نفسه إلى ماهو فردي وما هو اجتماعي، ولا يتسنى لنا ترتيبه ضمن أي قسم من أقسام الظواهر البشرية لأننا لا نستطيع أن نستخرج وحدته'1 وخلاصة القول يمكن أن نشير إلى أهمية السياق عند سوسير، فقد تعامل به في دراسته للغة والتي اعتبرها مجموعات من الدلائل المتناسقة، بحيث أن مرد كل شيء في اللغة إنما هو الاختلافات بيد أن مرد كل شيء فيها إنما هو إلى التجميعات كذلك،فهذه متمثلة في تعامل عدد من العناصر بشكل تعاقبي تتعامل أجزاؤها تعاملا منظما على امتداد واحد.

2.1.السياق عند رومان جاكبسون

تعد نظرية التواصل من المواضيع المحورية التي اهتم بها الباحث جاكبسون، فاللغة بطبيعتها هي وسيلة من وسائل التواصل،فاهتم بقضية التواصل في مجال لساني والذي يختص بمواضيع وظائف اللغة،وأشكال الخطابات المتنوعة،المستخدمة في الحياة اليومية،أو تلك التي تحتوي على خصائص فنية ذات قيمة جمالية، والموضوع الذي تناوله جاكبسون في نظرية التواصل هو البحث والتمعن في السمات لكل نظام من العلامات أثناء سيرورة التواصل، فوضع لها أسس وأركان وهي: السنن،القناة،الرسالة،المرسل،المرسل إليه والسياق، وكل ركن يأخذ مفهوما ضمن نمط التواصل، أي من طبيعته وشكله اللغوي وغير اللغوي، فالسنن في التواصل اللغوي [مثلا يستند على عدد من الفونيمات والمورفيمات في لغة طبيعية، حيث يمثلان قواعد تأليف

1 ينظر،نفس المرجع ص 29.

خاصة بنظام محدد،أما في التواصل غير لغوي فإنه يمثل مجموعة الاصطلاحات المنضبطة والمماثلة للعلامات الضوئية والكهربائية]1، والسنن تختلف بحسب قواعد التأليف وعدد العلامات أو حسب الممارسين الفعليين لهذا السنن أو ذاك ، كما يمكن أن يشتمل على عدد محدود من العلامات وقواعد التأليف أو على عدد مرتفع، ويمكن أن يكون مشتركا بين عدد من المرسلين والمتلقين، أو يكون محصورا في عدد ضئيل (اثنين على الأقل)'2 ويتمظهر السنن على شكل رسالة تنقل أخبارا بين المتكلمين،ذلك أن عملية الإظهار تستلزم إعطاء شكل للرسالة بواسطة السنن الذي يؤمن بوضوح الرسالة ويحقق الأخبار،فانتقال الأخبار يتم بواسطة رسالة أخذت شكلا ما، أي سننت. والقناة فهي بمثابة محور التواصل بحيث أنها مكان تمظهر السنن في شكل رسالة ومركز الاتصال الفيزيقي بين المتكلمين، وتختلف طبيعة القناة باختلاف نوعية التواصل أيضا،فالهواء يمثل قناة التواصل بالنسبة للتواصل اللفظي، والأسلاك الكهربائية بالنسبة للتلغراف والهاتف...الخ'3، والمرسل وهو الملقي وهو الذي تتكون وتتحقق به الرسالة، ويمكن تعريفه بأنه[العقل الإنساني للغة المنطوقة والمكتوبة، والكلام الإنساني بالنسبة للتلفون أو الإذاعة وتتضمن آليات تسنين الرسالة، والآلة المرسلة(أعضاء النطق بالنسبة للكلام، الميكروفون والمرسل الإذاعي بالنسبة للبث الإذاعي)، وتتم عملية التسنين على مستوى مصدر المرسل أي اختيار عدد من العلامات المنتمية للسنن، تسمح للمرسل بإصدار الرسالة]4، والمرسل إليه وهو المتلقي الذي يستقبل الرسالة، والسياق الذي يعتبر المرجع الذي يكون واسطة بين العناصر التواصلية ويقول جاكبسون: [إن اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها، وقبل التطرق إلى الوظيفة الشعرية ينبغي علينا أن نحدد موقعها ضمن الوظائف الأخرى للغة. ولكي نقدم فكرة عن هذه الوظائف من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكونة لكل سيرورة

[1] عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظريات التواصل، دار الحوار ط1 2003 ص 24.

[2] نفس المرجع ص 25

[3] نفس المرجع ص 25.

[4] نفس المرجع ص 25-26.

لسانية، ولكل فعل تواصلي لفظي.إن المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي بادئ ذي بدء سياقا تحيل عليه، سياقا قابلا لأن يدركه المرسل إليه، وهو إما أن يكون لفظيا أو قابلا لأن كون كذلكن وتقتضي الرسالة بعد ذلك سننا مشتركة كليا أو جزئيا بين المرسل والمرسل إليه (أو بعبارة أخرى بين المسنن ومفكك سنن الرسالة)، وتقتضي الرسالة أخيرا اتصالا أي قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل إليه اتصالا يسمح لهما بإقامة التواصل اللفظي والحفاظ عليه.]1.

ويرى جاكبسون أن للغة وظيفة مرجعية وذلك عبر الخطاطة التي وضعها والموضحة كالاتي'2 :

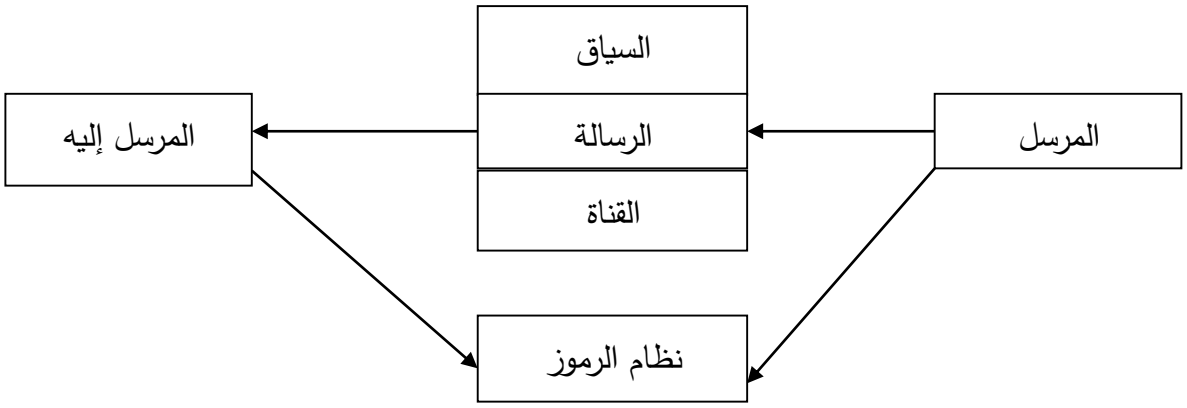

فالمرجعية هي سياق التخاطب، بحيث أن لكل ركن من أركان الاتصال وظيفة تؤديها اللغة، ووظائف اللغة نجد، وظيفة مرجعية ووظيفة شعرية ووظيفة افهامية ووظيفة تعبيرية ووظيفة انتباهية، وهناك وظيفة ما وراء اللغة، وقال جاكبسون :[لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية،فخصوصية الأجناس الشعرية المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة،وذلك في نظام هرمي متنوع. إن الشعر الملحمي المركز على ضمير الغائب يفتح المجال يشكل قوي أمام مساهمة الوظيفة المرجعية،والشعر الغنائي الموجه نحو ضمير المتكلم شديد الارتباط بالوظيفة الانفعالية،وشعر ضمير

1 رومان جاكسبون ، قضايا الشعرية، تر : محمد الولي ومبارك حانون، دار توبقال للنشر ط1 1988 ص 27.

2 المرجع السابق ص 27.

المرجعية

المخاطب يتم بالوظيفة الافهامية ويتميز بوصفه التماسيا ووعظيا وفق ما إذا كان ضمير المتكلم فيها تابعا لضمير المخاطب أو وفق ما إذا كان ضمير المخاطب تابعا لضمير المتكلم]1، ويضع جاكبسون يوضح به الوظائف اللغوية الست ويحدد عملها وهذا المخطط كالأتي'2 :

والخلاصة أن للسياق وظيفة لغوية تتمثل في المرجعية، والملاحظ أن هذه المرجعية إنما هي إحالات للعناصر اللغوية في الخطاب، وهي عبارة عن سياق الموقف الذي يعطي قيمة مرجعية ويوضح العلاقات بين المتكلم والسامع ومنه يتوصل الفهم إلى السامع من خلاله.

3.1.السياق عند ب.مالينوسكي

يعد مالينوفسكي من أبرز الباحثين الذين بادروا في النظر لنظرية السياق،وكانت البداية لما سعى إلى دراسة مجموعة من اللغات البدائية في جزر تروبيرياند،وقد واجه أثناء عمله بعض العراقيل خاصة المتعلقة بترجمة النصوص،فلم يكن له طريق غير استناده إلى أحوال المتكلمين حين ينطقون،فدفعه إلى صياغة مصطلح سياق الحال ويقصد به أن الكلام المنطوق يكون له معنى فقط لو رأيناه في السياق الذي استخدم فيه،حيث سيكون واضحا على سبيل المثال أن كلمه "خشب" تشير إلى مجداف الزورق.إن اللغات الحية يجب ألا تعامل معاملة اللغات الميتة،تنزع من سياق حالها،بل ينظر إليها كما استخدمها أفراد للصيد أو الحرث أو البحث عن السمك...إلخ'3، فالباحث الانثروبولوجي لما وجد ذاته أمام صعوبة في تفسير الكلام في جزر

1 نفس المرجع ص 32-33.

2 نفس المرجع ص 33.

3 بالمر،علم الدلالة إطار جديد،تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1955، ص 74.

تروبيرياند انتقل إلى وضع العبارات والجمل ضمن المواقف التي استعملت فيها،بالإضافة إلى نشاطات المتكلمين المصاحبة لتلك التعابير،فبنى مالينوفسكي مزاعمه على ملاحظته للطريقة التي توافقت فيها لغة الناس التي كان يدرسها مع نشاطاتهم اليومية،وكانت بالتالي جزءا يتعذر فصله عنها'1.فاكتشف عدة ملاحظات أخرى منها:[أنه حتى في المجتمعات الأكثر تعقيدا هناك مغزى خاص للتعبيرات مثل كيف حالك؟ التي تستخدم في إقامة وجدان مشترك،وقد أطلق عليه بلغة المجاملات]'2 حيث أن الكلمة لا تنقل المعنى فقط، بل تملك وظيفة اجتماعية محضة، وملاحظة أخرى تتمثل في [أن الطفلة توا من مرحلة الكلام غير المفهوم يستخدم الكلمات باعتبارها قوى فعالة، بها يؤثر في من حوله من أفراد وبالمثل، فإن الكلمات بالنسبة للإنسان البدائي هي أدوات مهمة]3، والملاحظة المهمة التي اكتشفها مالينوفسكي هي أن اللغة [عبارة عن أسلوب عمل كانت ترى على نحو واضح في الاحتياجات الأساسية للإنسان،فهي مرتبطة أكثر بالاحتياجات العملية للمجتمع البدائي،وبناء على هذا افترض أن صعوبات الترجمة كانت ناشئة عن الاختلاف في طبيعة اللغات،وأن الحاجة إلى الاستشهاد بسياق الحال كانت أكثر أهمية عند معالجة اللغات البدائية].4وحتى مع سياق الحال فقد واجه معضلة أخرى تتعلق بعدم توفر الأساس لأي نظرية عملية، إنه لا يناقش الطرق التي يمكن بها تناول السياق بأسلوب منظم، كي يفيد المعنى، فضلا عن هذا واضح تماما حتى مع سكان جزر التروبرياند أن كثيرا من نشاطهم اللغوي لا يرتبط بالسهولة بالسياق، فعلى سبيل المثال إنه يناقش الحكاية اي الإخبار بالقصص، لكن السياق هنا هو نفسه في الأوقات كلها أيا ما كانت القصة ولو أن السياق يؤخذ باعتباره تعريفا للمعنى لكان القصص كلها للمعنى نفسه'5. فما كان على مالينوفسكي إلا بالإتيان بسياق اخر يعد ثانويا، ونعني بذلك سياق داخل الحكاية، وهنا دخل مالينوفسكي في ميدان

[1] نفس المرجع ص 75.
[2] نفس المرجع ص 75.
[3] نفس المرجع ص 75.
[4] نفس المرجع ص 76.
5 المرجع السابق ص 76.

اللغة وبدأ في البحث عن وظيفتها، وهو يرى بأن [اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم إلى رأس السامع ليست سوى خرافة مضللة فالتكلم لا سيما في الثقافات البدائية ليست قولا بل عملا، فاللغة باستعمالاتها البدائية حلقه اتصال في نشاط بشري جماعي، إنها نمط من العمل وليست أداة للتأمل]1. ويورد في شرحه لهذا المفهوم بقوله حول بعثة الصيد في التروبرياند،[يتم توجيه مجموعة من قوارب الصيد وتنظيم حركتها باستمرار عن طريق الكلام، فالصرخة التي تعلن وجود كمية من الأسماك تعني إعادة تنظيم جميع حركات القوارب من جديد]2،ومن جهة أخرى [فإن الطريقة التي استعملت فيها اللغة الآن في كتابة هذه الكلمات هي من الاستعمالات الفرعية والبعيدة للغة، فالكلمات هي أدوات ومعنى الأداة يكمن في استعمالها]3.

وعليه فإن دراسة اللغة لا تتم إلا بمراجعة المعنى والمعنى لا يظهر إلا من سياق الحال، والواضح أن اهتماماته اللغوية كانت موجهة على اللغة باعتبارها نمط سلوكي فهي ليست فقط أداة للتعبير عن الفكر، بل هي أيضا نتاج فعال في السلوك الإنساني تعكس الخلفية الثقافية للمجتمعات، [فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافات ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، ولا يمكن إيضاح اللغة بالرجوع الدائم إلى المحيط الأوسع، وهو الظروف التي يتم فيها النطق]4. وقد تعمق مالينوفسكي كثيرا في السلوك اللغوي، فذهب إلى مدا بعيد في إثبات أثر سياق الحال في أداء اللغة لدورها، فقد كان [يلفت النظر إلى حقيقة أن كثيرا من تفوهاتنا لا يقصد بها أساسا التفاهم أو البحث عن المعلومات، أو إصدار الأوامر أو التعبير عن الآمال أو الأمنيات والرغبات وإثارة العواطف، ولكن تستعمل لخلق شعور بالتفاهم الاجتماعي والمجاملة، فالكثير من التفوهات المعدة أصلا مثل: (how do you do) المحددة اجتماعيا في نصوص معينة

1 جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة ، النشر والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية ص 238.

2 نفس المرجع ص 238.

3 نفس المرجع ص 238.

4 لويس، اللغة في المجتمع تر: د.تمام حسان، مرا: د.إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية 1959 ص 48.

تخدم هذا الغرض][1]. وخلاصة هذا كله هو أن فكره السياق عند مالينوفسكي هي علاقة الكلام بالموقف وهما مرتبطان، بحيث لا فهم للألفاظ دون مراعاة سياق الموقف.

4.1.السياق عند جون فيرث

اعتمد العالم الانجليزي على أقوال ووجهات نظر العالم الانثروبولوجي مالينوفسكي، فقد كان لأعماله تأثيرا في تأسيس نظرية السياق ،ولكن رغم تأثره بالسياق الحالي الذي استند إليه مالينوفسكي ،فقد اتخذ اتجاها آخر أكثر وضوحا وشمولية ،فنظر إلى السياق باعتباره جزءا من النظام اللغوي ومستوى من مستويات التحليل اللغوي ،ويرى فيرث بأن هذه النظرية تصلح للتطبيق، وقد قدم مثالا في ذلك لما درس اللهجة الكوكنية، حيث في جملة 'أنا ذاهب' لأحصل على واحدة لبيرت hug gunna gi wun fer ' berوسأله ما الحد الأدنى لعدد المشتركين؟ ثلاثة؟ أربعة؟ وأين حدث هذا؟ أفي حانة؟ وأين بيرت؟ أهو في الخارج؟ أهو يلعب لعبة الرشق بالسهام؟ وما الأشياء التي لها صلة بالحدث؟ وما تأثير الجملة، أنت تقول: 'هذا واضح''[2]، فمن خلال هذه الأسئلة بدا وكأن فيرث يبحث عن المشاركين في الحدث الكلامي والغير الكلامي والمؤثرات لذلك الحدث حتى يصل إلى المعنى المراد ،والمعنى عنده هو كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية ثم المورفولوجية والنحوية والقاموسية والوظيفة الدلالية لسياق الحال، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها'[3].ولأجل الوصول إلى المعنى في نص لغوي يشترط فيرث عدة أمور،أولا،أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية،فونولوجية، مورفولوجية والنظمية والمعجمية)،ثانيا، أن يبين سياق الحال، شخصية المتكلم وشخصية السامع ،وجميع الظروف المحيطة بالكلام ،ثالثا،أن يبين نوع الوظيفة الكلامية، تمني، إغراء..الخ ،ورابعا ،يذكر الأثر الذي يتركه الكلام ،ضحك، تصديق سخرية...الخ ،ويمكن من هذه الشروط استخلاص

[1] ج.لايينس، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب جامعة البصرة 1980 ص 32.

[2] علم الدلالة إطار جديد، ص 77.

[3] محمود السعراني ، علم اللغة، دار النهضة العربية بيروت ص 312.

عناصر سياق الحال وهي، شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وجدوا ،وبيان ما لذلك عن علاقته بالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي،والعوامل والظواهر الاجتماعية، مثل مكان وزمان الكلام، والأوضاع السلوكية واللغوية،وأثر العنصر اللغوي في المشتركين، كالألم ،إثراء ،ضحك...الخ،و الوظائف الكلامية بجميع أنواعها'1،فلأجل تقص المعاني ،جعل من السياق منهجا يدرس به العناصر اللغوية وفق موقف اجتماعي والكيفية التي استعملت فيها تلك العناصر ،فقد صرح بأن الكلمة لا يظهر معناها إلا عبر تسييقها والنظر إليها والى ما جاورها من كلمات أخرى ،وكذلك المواضع المختلفة فمعظم هذه الكلمات ترتبط فيما بينها وتكون علاقات مع بعضها البعض.وقد سعى باحثون آخرون حول هذا المنهج وطوروه فوضعوا أقساما لنظرية السياق وهذه الأقسام نوضحها كالأتي2:

أ) السياق اللغوي :أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة 'good في الإنجليزية، ومثلها كلمة 'حسن' العربية، أو 'زين 'التي تقع في سياقات اللغوية المتنوعة وصفا لأشخاص رجل، امرأة، ولد...الخ، أشياء مؤقتة، وقت، يوم، رحلة، مقادير، ملح، دقيق، هواء، ماء...الخ ، فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة 'رجل' كانت تعني ناحية خلقية ،وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الأداء وليس (ناحية أخلاقية)، وإذا وردت وصفا لمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة ،وهكذا، كما يمكن التمثيل له بكلمة 'يد' التي ترد في سياقات متنوعة،مثل:'أعطيته مالا عن ظهر يد' ،يعني تفضلا ،وليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة ، 'هم يد على من على' ،من سواهم إذا كان أمرهم واحدا ،'يد الفأس' ونحوه مقبضها ، 'يد الدهر' مد زمانه ،'يد الريح' سلطانها ،'يد الطائر' جناحه.

[1] نفس المرجع ص 311.

[2] أحمد عمر المختار، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة ص69-70-71.

ب)السياق العاطفي:فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ،مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا ،فكلمة 'love' الانجليزية ،غير كلمة 'ليف' رغم اشتراكهما في أصل المعنى وهو الحب ،وكلمة 'يكره' العربية غير كلمة 'يبغض' رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك.

ج)سياق الموقف :فيعني الموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة ،مثل استعمال كلمه يرحم في مقام تشميت العاطس (يرحمك الله)البدء بالفعل،وفي مقام الترحم بعد الموت (الله يرحمه)،البدء بالاسم،فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا ،والثانية طلب الرحمة في الآخرة ،وقد دل على هذا السياق الموقفي،إلى جانب السياق اللغوي المتصل في التقديم والتأخير.

د)السياق الثقافي: فيقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ،فالكلمة مثل 'looking glass' ،تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة 'mirror'، وكذلك كلمة 'rich' بالنسبة لكلمة 'wealthy' ، وكلمة 'عقيلته' تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة 'زوجته' مثلا .ومنه فدراسة معاني الألفاظ تستدعي نظرا لسياقات ومواقف التي استعملت فيها، والألفاظ الأخرى السابقة واللاحقة لها.وكانت لنظرية السياق دور فاصل في التمييز بين المعاني في المشتركات اللفظية ،خاصة من ناحية النطق الشفهي،فقد ورد عند ستيفن أولمان في كتابه دور الكلمة في اللغة:[إذا تصادفت أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقا تاما ،فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة دون السياق الذي تقع فيه] 1،ومثال ذلك اتفاق الأصوات في كلمة 'see' في العبارة 'the 'bishop's see ،فكلمة 'see' وحدها تعني (يرى) ،وأما ورودها في العبارة 'bishop's see تعني (أبرشه الأسقف أو عرشه)،وأما 'sea' فتعني البحر'2،فالسياق وحده بإمكانه تحديد المعنى المقصود من هذه الكلمات ،يقول اولمان :"وهكذا نرى أن الصورة المندرجة التي رسمناها بالأمثلة السابقة قد بينت أن كل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق

[1] ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب ص 60.

[2] نفس المرجع ص 60 (ينظر في الهامش).

الحقيقي سواء كان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي ،وربما كانت الحقائق المستمدة ،من السياق مقصورة في بعض الأحايين على تحديد الصور الأسلوبية ، ولكنها مع ذلك تعد ضرورية في تفسير المشترك اللفظي"[1] ،وقد أشاد أولمان بنظرية السياق ، ويرى بأنها ركيزة أساسية في علم المعنى حيث قال:"إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة، تمثل حجر الأساس في علم المعنى،وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج المبهرة في هذا الشأن،إنها مثلا ،قد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثبات،كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات،وقد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما أسماه الأستاذ فيرث (ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات)،أي: السياقات ،سياق كل واحد منها ينطوي تحت سياق آخر،ولكل واحد منهما وظيفة لنفسه وهو عضو في سياق أكبر،وفي كل السياقات الأخرى،وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة والحق أن هذا منهج طموح لدرجة لا نستطيع معها في كثير من الأحايين إلى تحقيق جانب واحد منه فقط ،ولكنه مع ذلك يمدنا بمعايير تمكننا من الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا"[2].

وكلمة السياق في معناها المتداول هي النظم اللفظي للكلمة،وموقعها من ذلك النظم،وعلى هذا فالسياق يشمل كل من الكلمات الواردة في التركيب والتأليف وما صاحبنا من الوجوه والظروف المحيطة بها.

[1] نفس المرجع ص 61.

[2] نفس المرجع ص 61.

2. السياق في الدرس اللساني التداولي

1.2.مفهوم اللسانيات التداولية وموضوعها

ترتبط فكرة التداولية بعدة علوم،فهي لا تنحصر في المجال اللساني فقط،ولهذا السبب يجد الباحثون صعوبة في تحديد مفهوم شامل للتداولية، يقول د.مانغونو:" إنه من الصعب الحديث عن التداولية، لأن هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عددا من الأفكار..واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني "1 فالتداولية يشمل فرعا من عدة علوم مثل الفلسفة والسيمياء وعلم الاجتماع وعلم النفس وغير ذلك، ولكن مع ذلك حاول بعض الباحثين وضع تعريف لها على أنها" أي إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية والوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف "2 ومن اهتمامات التداولية أنها تعد أسلوبا في فهم وإدراك شروط الخطاب، وذلك بدراسة كيفية استعمال اللغة وبيان الشكل اللساني الذي لا يتضح معناه إلا بالاستعمال، فتدس اللغة من الجانب الاستعمالي في النصوص والخطابات والآثار التي تبين ذلك. واللغة باعتبارها نظام من العلامات اللغوية، فهي تنظر للعلاقة بين هذه العلامات والمستعملين لها والمتلقين لها وبالإضافة إلى الآثار النفسية والاجتماعية المرافقة لهذه العلامات، والتداولية تختص أيضا بدراسة مقاصد المتكلم وتفسر حالات التواصل وسياقاته،وهناك تعريفات أخرى لها حددها باحثون منهم دومينيك:"بأنها تميز أساليب فهم الخطاب وتوسع أكثر عملية التواصل على نحو يعارض طرائق البنيوية"3 والتداولية باعتبارها فرعا من فروع علم اللغة إلى جانب كل من علم التركيب وعلم الدلالة فهي تشمل مجموع العلاقات التي تربط الألفاظ بمستخدميها وبظروف استعمالها والآثار الناجمة على البنى النحوية إلى جانب بيان دور

[1] خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم من الحكمة للنشر والتوزيع ط1 2009 ص 63.
[2] نفس المرجع ص 68.
[3] نفس المرجع ص 73.

المخاطبين وطبيعة السياق والإلمام بآثار الخطاب نفسه على المتخاطبين.وفي الحديث عن السياق فالواضح والجلي توغله في قلب الدراسة التداولية، ويمكن اعتباره القلب النابض لها، فإذا نظرنا في أصناف التداولية مثل تداولية اللغة الشكلية(التي نشأت من الاتجاه الفلسفي للغة العادية وتعني بمعالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه، وبين الجمل وسياقاتها،وامتداد دراسة التداولية لشروط الحقيقة وقضايا الجمل و حتى حدس المتخاطبين والاعتقادات المتقاسمة)'1 فنرى حضور السياق بعناصره كلها،وفي الكلام من حيث الإبداع والإنتاج وفي بنية الملفوظ فتنظر التداولية في شكله وعباراته ، ومدى علاقته بالدلالة المرتبطة به، ولابد من عقد السياق الخاص به.ولأجل تحديد أغراض الخطابات وتحديد المقاصد الحقيقية للمتكلم، فهذه المعاني لا تستنبط من حيث البنية فقط،بل ينبغي التوجه إلى السياق كذلك، فقد يقول المتكلم شيئا ويقصد به شيئا أخر، فلا يمكن للسامع إدراك ذلك إلا بالسياق مثال إني متعب، فقد يقصد المتكلم هنا (أوقف الحديث أو دعني أنام) وليس الإخبار بالتعب.ومثال أخر في حالة ما إذا كان باب الغرفة مفتوحا فيقول المتكلم:ألا ترى أن الجو بارد.وقصده في ذلك (أغلق الباب)2.

فيتوجب على المستمع التنبه لتلك الأحوال حتى يعلم مراد المتكلم وحتى يكتمل التفاعل بينهما، وللتداولية درجات،درجة تتمثل في دراسة رموز التعبيرات المبهمة ضمن ظروف استعمالها وتعتمد هذه التداولية على السياق الوجودي المتمثل في المخاطبين ومعطيات الزمان والمكان ودرجة ثانية تتمثل في دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه، أي دراسة حجم ما يبلغه المتكلم من دلالات في الملفوظ الذي يؤدي ذلك ، ومدى نجاحه وإخفاقه.وسياقها في هذه الحال أوسع من السابق حيث يتوجه إلى نفسية المتخاطبين وحدسهم والاعتقادات المشتركة بينهم. والدرجة الثالثة وهي ترتبط بنظرية أفعال الكلام، بحيث يلعب السياق دورا أساسيا في تمييز بين جدية التلفظ والدعابة ، أو انجاز فعل معين.

[1] المرجع السابق ص 77.

[2] نفس المرجع ص 71

فالسياق في هذه الحالة يحتل المركز الفعلي في الدرس التداولي وقد تعددت طرقه ، منها السياق الظرفي أو الفعلي ويشمل بذلك هوية المتخاطبين ومحيطهم الزماني والمكاني ، والسياق التداولي ويقصد به الموقفي الذي يتضمن الغايات الممارسة خطابيا ، والسياق الاحتكامي ويتعلق بحدس المتخاطبين، وأخيرا السياق اللغوي ويعنى به مجموع الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الكلمة ، وبالإضافة إلى السياقات الأخرى منها ثقافية،اجتماعية،دينية ،عاطفية وغيرها. ومجمل القول هو أن موضوع السياق يشغل بشكل كبير جميع قضايا الدرس التداولي سواء من تحليل النصوص والجمل أو أفعال الكلام أو استنباط مبادئ الخطاب ووسائل الحجاج والأحداث الكلامية وغيرها، كلها تخضع لعنصر السياق بمحتوياته وهي ، المشاركين في الكلام والأوضاع وأماكن الحديث والأقوال ومقاصد المتحدثين والعوامل الاجتماعية ، فإذا نقص ركن من أركانه قد يصيب الإبهام والغموض ولا يتم الكلام ويفشل التواصل.

2.2.السياق في نظرية أفعال الكلام

تعد هذه النظرية من المحاور الرئيسية في اللسانيات التداولية، يعود فضل تأسيسها للباحث 'ج.أوستن'، وطورها تلميذه 'سيرل' ،وقدم نموذج حول مفهوم فعل الكلام، فقد اعتبر أن كل قول ملفوظ يعد عملا، فيتجاوز بذلك مسألة الصدق و الكذب في الكلام ،ويميز 'أوستن' بين نوعين من الكلام ،فالنوع الأول هو الكلام الثابت والمقرر ،ويتمثل في حالات الأشياء ،وهو قابل لأن يكون حقيقة أو غير حقيقة ،والنوع الثاني ،الكلام المنجز وهو مرتبط بشروط تحقيقه ،والتي تحملها حال النطق بها ،وبمساعدة بعض الشروط الظرفية الأخرى نحو :أعلن افتتاح الجلسة '. ومن مبادئ هذه النظرية هو أن الاستعمال اللغوي هو إنجاز فعل اجتماعي معين ،وقد كانت الأقوال والأحاديث منحصرة في معياري الصدق و الكذب حتى أوجد 'أوستن' صنف آخر من الكلام ،وهو يتعلق بالكلام الإنشائي أو الأدائي ،والذي يشير إلى مسائل أخرى غير الإخبار ،كالنهي والأمر ،ووصف الأحداث ، وبهذا يتكون نوعين من الفعل الكلامي ،فعل إخباري ،وفعلي إنجازي ،فالأول يخضع لمعياري الصدق و الكذب ،والثاني فلا ،فهو لا يصف واقعا خارجيا ولا

يحيل إليه'1 ،وإن وردت جمل بالصيغة الإخبارية فليس شرطا أن تعني بذلك مثل : ألتزم بالحضور ،أو أعلن افتتاح الجلسة ،أو أعدك بزيارة غدا إن شاء الله ،فهذه العبارات لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب وإنما هي أفعال منجزه من المتلقي أو المتكلم على حد سواء، فالمقاصد في الجمل السابقة في الأولى يعني وعد والجملة الثانية أمر بمباشرة أشغال الجلسة وأما الجملة الثالثة وعد وطلب.2 كذلك فمن ما يغير في سلوك متلقي هذه الجمل بتوفر ظروف ذلك وتنوع المتلقين بتنوع الأخبار وأغراضها وهي جمل شبيهة بالجمل المنطوية على موجهات أمر واستفهام فهذه العبارات الإنشائية جاءت على صيغة الخبر ولكن الذي يبين ذلك هو أحوال المتكلم ونواياه والوضع الاجتماعي الحاضر وشخصية المخاطب، وهي تشكل بذلك أفعالا وقد نجد جملا انجازية تنطوي على مطلب داخل مطلب، مثل ذلك: نحو هل عندك ساعة؟3 فربما يقصد المتكلم هنا معرفة الوقت وكأنه قال: كم الساعة؟ فعلى المخاطب فهم مراده في فترة وجيزة، وإذا كان المتكلم في المحل ويخاطب صاحب هذا المحل، وسأله كم الساعة؟ فهو يبحث عن الثمن وليس الزمن، وهذه الأمثلة هي عبارات عن مؤشرات لبروز السياق في الفعل الكلامي، يقول: "جون لاينز التمييز الذي يقدمه "اوستون" هو التمييز بين الأدائيات الواضحة الأولية وينطبق هذا التمييز من حيث المبدأ على كل من الوحدات الكلامية البيانية والوحدات الكلامية غير البيانية. إن الأدائية الواضحة هي أدائية تحتوي النقش فيها تعبير يوضح نوع الفعل الذي يجري أداؤه،ويحتاج هذا التعريف إلى تعديل في نواح عديدة ، فقد يبدو في وضعه الحالي على انه أوسع مما يقصده اوستن ومع ذلك فهو أضيق مما ينبغي أن يكون عليه ،إلا أنه يشمل بالتأكيد الأمثلة كافة التي استخدمها اوستون وأتباعه لبيان نوع الأدائيات الواضحة، فهو يشمل بشكل خاص جملا غير بيانية مثل هذه الجملة التالية(أعد أن أدفع لك خمسة باوندات) مثل هذه الجمل تحتوي على ما يسمى بفعل أدائي وهو بالفعل يعد إضافة إلى حقيقة استخدامه مع فاعل هو الشخص

[1] ينظر المرجع السابق ص 91.

[2] نفس المرجع ص 91.

[3] نفس المرجع ص 93.

الأول المفرد، وإنه في صيغة الفعل المضارع البسيط، ويوضح هذا طبيعة فعل الكلام الذي يجري أداؤه عند النطق بالجملة لإعطاء الوعد"[1] ويرى جون لاينز أن مثل هذه الجمل تنطق ضمن سياقات محددة، بحيث قال:" وما زال يتوجب علينا أن نحسب حسابا حقيقيا أن الجمل تنطق ضمن سياقات معينة، وأن جزءا من محصلة معنى نقش الكلام يستمد من السياق الذي ينتج فيه ،ويتضح تماما في حالة إشارة للتعابير المؤثرة التي يشملها السياق، وأن الإشارة كما لاحظنا في الجزء الثالث هي جزء من معنى الوحدة الكلامية وليس جزء من معنى الجملة، أما المكون الثالث للعمل الكلامي فهو ما يسميه اوستن بالعمل البلاغي، ويتضمن هذا تخصيص للإشارة التي يمكن وصفها على نحو أشمل بالتحديد بالسياق".[2]

إن المعاني والمقاصد في عملية التواصل هي بحد ذاتها أفعال كلامية، فهي تعتبر إنجازات وأغراض تواصلية حسب رأي مسعود صحراوي، إذ يقول:"ولذلك يصح أن تعد تلك المعاني والمقاصد التواصلية أفعالا كلامية في منظورنا باعتبار أننا لا ننظر إليها على أنها مجرد دلالات ومضامين لغوية، وإنما هي فوق ذلك إنجازات وأغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو مؤسساتية أو فردية بالكلمات والتأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه أو دعوته إلى ذلك؛ أو تقرير حكم من الأحكام أو توكيده أو التشكيك فيه أو نفيه أو وعد المتكلم للمخاطب أو وعيده ،أو سؤاله واستخباره عن شيء أو إبرام عقد من العقود أو فسخه، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة...الخ، وإنما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداث فيه".[3]

وينقسم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام وهي كالآتي:[4]

[1] جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب ، مرا: د.يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط1 1987 ص 192-193.

[2] نفس المرجع ص 200.

[3] مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة بيروت ط1 2005 ص 11.

[4] نفس المرجع ص 41-42.

1.فعل القول أو الفعل اللغوي: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة (الصوت التركيبي الدلالي الصرفي)، ولكن أوستن يسميها أفعال الفعل الصوتي وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة، فقولنا مثلا: إنها ستمطر يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي إخبار بأنها ستمطر أم تحذير من عواقب الخروج في الرحلة أم أمر بحمل مظلة أم غير ذلك، إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.

2. الفعل المتضمن في القول وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية خلف هذه الأفعال القوى الانجازية ومن أمثلة ذلك، السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير وعد، أم، شهادة في المحكمة...الخ، فالفرق بين الفعل الأولي (أ) والفعل (ب) هو أن قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل الأول الذي هو مجرد قول.

3. الفعل الناتج عن القول وأخيرا يرى أوستن أنه مع القيام بفعل القول وما يسحبه من فعل متضمن في القول(القوة)، فقد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء أثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط ...الخ، ويسميه أوستن الفعل الناتج عن القول. ويوظف أوستن حسب الأنواع الثلاثة مجموعة من العوامل اللغوية والغير اللغوية، فالنوع الأول يهتم بالدرجة الأولى بقواعد اللغة والمستويات الثلاثة لها (التركيب والدلالة والتداولية)، وفي النوع الثاني يعول على نوايا ومقاصد المتكلم، وبدمج هذان النوعان نحصل على بيان لأثر الفعل الكلامي في نفسية المتكلم، وهو المراد من كل شيء.

وما يمكن استخلاصه من هذه النظرية أنها تدرس من ناحية، مقاصد المتكلم، وكيفية إيصال المعنى، وكيف يفسره السامع، فتربط بالتفسير ما يقصده الناس بألفاظهم بكيفية صياغة المستمع لتلك الألفاظ بناء

على مجموعة من الدلالات، منها سياقية حيث تفسر ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في الموضوع، والتأمل في عملية تنظيم المتكلم لما يريد ذكره، وكذلك أين ومتى وتحت أي حال أو موقف ينجز فيه الكلام وطبعا هذه النظرية لم تتوقف عند هذا الحد، فقد سعى تلميذه سيرل إلى توسيع النظرية وشرحها أكثر، فقد أعاد تفسير الأفعال الكلامية ونعرضها باختصار، وهي فعل التلفظ الصوتي والتركيبي، والفعل القضوي، الإحالي والجملي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري وإن الهدف هنا هو تبيان فقط أثر السياق في هذه النظرية ومكانته.

3.2.السياق في نظرية الاستلزام الحواري

وتسمى أيضا بالإستلزام التخاطبي ، وقد تأسست هذه النظرية على يد الفيلسوف 'بول .غرايس' ، وهي تعد أيضا من محاور الدرس اللساني التداولي ،وسبب نشأة هذه النظرية هو أن كلام الناس أثناء حواراتهم قد يعنون شيئا غير الذي يقولونه ،وربما يقصدون عكس ما يقولوه ،فجاءت النظرية لتبين الاختلاف بين ما نطق ،وما هو مقصود ،ففحوى الكلمات والعبارات لا يعني أن ما يريد المتكلم أن يوصله إلى السامع ،ولكنه اختار طريقة غير مباشرة ،وذلك لدرايته على أن السامع قادر على بلوغ المقصد ،وبأتباعه لوسائل الاستدلال ومعارف الاستعمال ،يمكنه الوصول إلى مبتغى المتكلم . ومنه فالاستلزام الحواري هو المعنى الذي لا يمكن إدراكه إلا من تتبع السياق الذي ورد فيه ،والاستلزام ينقسم إلى قسمين1 ،استلزام عرفي ،وهو ما يقام على تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما إختلاف بها السياقات وتغيرت التراكيب ،مثل كلمة 'but' ونظيرتها في العربية 'لكن' ،فهي هنا وهناك تستلزم دائما أن يكون بعدها مخالفا كما ينتظره المتلقي ،مثل My' freind is poor, but : honest'،مثل:' زيد غني لكنه بخيل' .و الاستلزام الحواري فهو يختلف باختلاف السياقات التي يرد فيها ،والسياق هو الذي يبينه ،فربط الكلام ببعض المواقف والحالات من شأنها أن تساهم في معرفة مراد المتكلم

1 ينظر، محمود أحمد نحلة ،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002 ص 33-34.

. و الاستلزام الحواري لا نشهده إلا إذا وقع عدول عن قاعدة من قواعد المبدأ العام، أو كما يسميه 'ب.غرايس' بمبدأ التعاون1 ،والذي يحتوي قواعد ينبغي للمتكلم قيام كلامه عليها ،فإذا ما تجاوز في قاعدة من هذه القواعد حدث الاستلزام الحواري ،وهذه القواعد هي :" 1_قاعدة الكم ،وهو استعمال القدر الكافي للكلام دون زيادة أو نقصان _2قاعدة الكيف ،والتي تنص على أن لا تقول ما هو غير صائب ،إلا إن كان يملك دليلا علي_3 .قاعدة المناسبة ،فلا بد للكلام أن يتوافق مع الموضوع_4 .قاعدة الطريقة ،فينبغي للمتكلم أن يتكلم بوضوح واجتناب الالتباس في الكلام. و على سبيل المثال: في حوار بين أم وابنها ' هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة ؟'2 اغتسلت' ،فالأم هنا سألته عن أمرين والولد أجاب عن واحد فقط ،وبالتالي حدث انتهاك لقاعدة الكم في الحوار ،وفي هذه الحالة يمكن للأم أن تدرك ابنها قد غسل فقط ولم يضع ثيابه في الغسالة ، ومثل ذلك في قوله تعالى :(ما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) [طه:17-18] فقد أجاب موسى هنا ب 'هي عصاي' ،ثم أضاف عن ذلك أشياء أخرى ،وبالتالي حصل عدول عن قاعدة الكم ،بحيث فيه زيادة في الكلام ،والسبب في ذلك ،لو تتبعنا الآيات التي بعدها سنجد أن لتلك العصا شأن فيما بعد ،و لربما (والله أعلم) أن مقصد الآية هو تبيان حقيقة العصا على أن العصا ليست عجيبة ،بل هي عادية ،وحتى لا يتهم موسى فيما بعد بالسحر . وخلاصة القول هو مسألة التواصل واستنباط مقاصد الكلام هي شغل النظرية ،ونرى أن السياق يسهم في كشف المعنى الخفي ،ولأن خروج الكلام عن معناه الظاهر إلى المتضمن غالبا ما نشهده في الحوارات ،ولهذا يتعين على المشاركين الرجوع إلى السياق والنظر في الطريقة التي أنجز فيها الكلام .

1 نفس المرجع ص 34.

2 نفس المرجع ص 36.

4.2.السياق في نظرية الحجاج

نشأت فكرة الحجاج في الدرس اللساني على يد كل من 'أ.ديكرو' وج.إنسكومبر' ،حيث حاول 'ديكرو' نقلها من طابعها البلاغي الكلاسيكي القديم المعروف عند أرسطو ،وإدراجها ضمن البحوثات اللسانية ،خاصة التداولية ،فركز على الدلالة من جهة في دراسته للجمل، ومن جهة فهي تعطي مخرجا أوليا للمعنى ،ومقابلته بالسياق ،فلما يقدم المتكلم على قول ينبغي أن يتم تسليم السامع به والاقتناع به ،ولا يقتنع المتلقي إلا إذا كان القول معززا بجملة من الحجج والبراهين ،وإذا أخذنا بآراء 'أوستن' التي تعتبر أن كل قول هو فعل تلفظي ،فيمكن القول أن للجملة أيضا وظيفة حجاجية ،فهي تهدف إلى جذب المخاطب إلى نتيجة معينة أو دفعه عنها ،فكثيرا من أفعال تملك وظيفة حجاجية تهدف بذلك إلى إقناع المخاطب بشيء ما أو صده عنه ،وتعد بنية القول مؤشرا يدل على تلك الوظيفة ،فالكلام ليس فقط جملة من المعلومات ،وإنما مجموعة من الأدوات والعبارات والصيغ المركبة ،نسعى من خلاله توجيه المتلقي ناحية ما يريده المتكلم ،مثال ذلك غي جملة 'إن سوسة موطن العلم'1،فالسامع لا يمكن أن يقتنع أو يسلم بهذا القول إذا لم يكن دليلا يثبت به صحته ،فلأجل تجنب هذا العائق يمكن إضافة 'لقد ضمت سوسة أقدم مراكز العلم وأكثرها عددا' ،وهكذا يصبح القول مثبتا للجملة الأولى .وهذا النوع من الحجاج يسمى ب"الحجاج اللغوي ، والذي يعني تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ،وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ،و بعبارة أخرى ،يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال ،بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية ،وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"2.و الحجاج اللغوي مرتبط باللغة الطبيعية ،فهو "وارد في جميع العوامل اللغوية (الصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية و التداولية)،و يرد أيضا في الأدوات والروابط و التعابير في الأقوال والجمل والنصوص والخطابات بمختلف أنواعها ،وهو

1 طه عبد الرحمن ،التواصل والحجاج ،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،ص5

2 أبو بكر العزاوي ،العمدة في الطبع ،منتديات سور الأزبكية ،ط1 1426هـ2006-م ،ص16

موجود في الكلام اليومي[1] ' إن اللغة هي-بحد ذاتها- تشكل وظيفة حجاجية ،نظرا لاحتوائها على عناصر لغوية تقوم على إثبات الحجج ،مثلا في جملة 'أنا متعب ،إذن أنا بحاجة إلى الراحة'، نرى بأن التعب دليل على رغبة المتكلم في الحصول على الراحة ،ومنه فالحجة كما يعرفها 'ديكرو' بأنها عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر ،والحجة قد ترد في هذا على شكل قول ،أو فقرة أو نص ،أو قد تكون مشهدا مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك "[2]،كبروز علامات التعب عند المتكلم .وهذا الاعتبار يقودنا إلى الجزم بضرورة العودة إلى السياق بعنصريه اللغوي والغير اللغوي في إثبات الحجة ،خاصة إذا كانت الحجة غير مذكورة ،مثل قولك 'أنا بحاجة إلى الراحة'،فقد تم الاستغناء عن الحجة ،ولكن ما يدل على أن المتكلم بحاجة إلى الراحة هو التعب الذي نستنتجه من السياق . وللحجاج اللغوي سمات خاصة يتمتع بها[3] ،وهي :1- أن هذه الحجج سياقية ،فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر ،فإن السياق هو الذي يصيره حجة ،وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية ،ثم إن العبارة الواحدة ،قد تكون حجة أو نتيجة ،أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق-2 .أنها نسبية ،فلكل حجة قوة وضعف ،إذ قد يبادر المتكلم بتقديم حجة ما لصالح نتيجة معينة ،فيجد الخصم قد قدم حجة أخرى مضادة أقوى من الأولى ،فهناك حجج قوية وأخرى ضعيفة-3 . أنها قابلة للإبطال ،وذلك لأن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي ،فهو مطلق وحتمي . و خلاصة الحديث هو ان النظرية الحجاجية جرت على نطاق واسع ف'ديكرو' جعل من الأفعال الكلامية وظائف حجاجية ،وهذه الأفعال تستمد قوتها من خلال شكلها البنيوي وبناء علاقتها بالمقام والظروف وأحوال المخاطبين ،ومنه فعمل الحجة قد يكون صريحا مباشرا ،وقد تأتي متضمنة تستنبط من السياق.

1 ينظر ،'أ.ديكرو ،السلميات الحجاجية ،تر:أبو بكر العزاوي ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،بني هلال ،ط1 2020 ،ص35

2 ينظر بتصرف، اللغة والحجاج ،ص18

3 نفس المرجع ص 19

3. السياق في لسانيات النص

1.3.مفهوم النص

وضع الباحثون اللسانيون عدة مفاهيم مختلفة للنص ،فهو ليس فقط مجموعة من الكلمات المتناسقة نحويا ،وهو ليس كالجملة من حيث التحليل ،حيث قال دومينيك :"إن لفظ النص يكتسي قيما متغيرة على غرار لفظي خطاب وملفوظ ، في غالب الأحيان يستعمل كمرادف لملفوظ ،أي كمتوالية لغوية مستقلة كانت شفوية أم مكتوبة أنتجها متلفظ واحد أو عدة متلفظين في سياق تبليغ اتصالي معين ، يستجيب لمعايير مترابطة ،كالاتساق الذي يربط بين الجمل والانسجام ،بالإضافة الى القصدية والاستحسان والتناص والإخبارية والمقامية[1]"،والنص "هو اللغة التي تخدم غرضا وظيفيا ،أي هو اللغة التي تخدم غرضا في سياق ما ،وقد يكون النص منطوقا أو مكتوبا ،وهو نظام من المعاني تمت برمجتها في نظام الشفرة اللغوية من استنطاقها لكشف المعاني الداخلة فيها ،والنص وحدة معنوية"[2]،وتعرفه 'جوليا كريستوفا' بأنه "ليس مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية ،إنه كلما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية ،وهذا يعني انه ممارسة مركبة يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية الفعل الدال الخصومي الذي يمارس لعبة داخلها بواسطة اللسان"[3]،والنص أيضا هو "جهاز عبر لغوي يعيد توزيع النظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ،مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك هو عملية إنتاجية[4]".ويمكن القول من خلال هذه التعريفات للنص ،أنه عبارة عن وحدة تركيبية دلالية تتضمن وحدات أخرى جزئية تربط فيما بينها علاقة، وهذه الوحدات تكون متناسقة ومتراصة و مؤدية لغاية ما في موضع معين ،ورغم

---

1 دومينيك مانغونو،المصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب، تر:محمد يحياتن، الدارالعربية للعلوم، ط1- 1428هـ2008- م، الجزائر، ص128.

2 يوسف نور عوض ،علم النص ونظرية الترجمة ،دار الثقة ،مكة المكرمة ،ط1 1410 ،ص31

3 جوليا كريستيفا ،علم النص ،تر: فريد الزاهي ،مرا: عبد الجليل ناظم ،دار توبقال ،ط1 1991م ،ص14.

4 سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص ،مكتبة لبنان ،الشركة المصرية العالمية للنشر ،ط1 1997م ،ص112

هذه الجمل من التعريفات ،إلا أنه لا يزال تحديد حقيقي لماهية النص متشعبا بعض الشيء ،فقد يكون فعلا كلاميا يصدر عن المتكلم اتجاه المخاطب عبر قناة اتصال بينهما ضمن موقف معين يحدث التفاعل فيه ، وقد يتكون النص في هذه الحالة من جملة فقط أو من جملة + رابطه + نص1.'

2.3.علاقة السياق بالنص

يمكن القول إن النص والسياق كلاهما يكملان بعضهما، إذ أن السياق يعتبر نصا مصغرا تتمركز حوله معارف منها لغوية وأخرى اجتماعية ، وهذه المعارف تستنبط من نص كلي مؤلف تأليفا محكما ذو انسجام فكري ،فالسياق حسب وجهه النظر هاليداي هو "النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهري ،والنص الآخر لا يشترط أن يكون قولي ،إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها ،وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثل اللغوي ببيئته الخارجية"2، فالنص عند هاليداي ينظر إليه من ناحيتين3، الناحية الأولى ،"أنه 'ناتج' بإمكان دراسته من حيث مكوناته الظاهرة التي يمكن إبرازها كنظام لغوي إعلامي ،ومن الناحية الثانية ،عملية يخضع لعمليات اختيار مستعرة تحددها السياقات البيئية للنص"، وهنا تكمن أهمية السياق ، وبالأخص إذا اعتبر النص عملية تفاعل في واقع اجتماعي تتبادل فيها الأفكار والمعاني فيصبح حوارا بين المتخاصمين .وقد ركز 'هاليداي 'على ثلاث نقاط أساسية للسياق ومدى تأثيرها في النص ،وهي كالآتي:4"

1-المجال ،ويعني به هوليدي الموضوع الأساسي الذي يتخاطب فيه المشاركون في الخطاب ،والذي تشكل اللغة أساسا مهما في التعبير عنه_2 . نوع الخطاب ،وهو نوع النص المستخدم لإكمال عملية الاتصال، ويركز هاليداي هنا على طريقة بناء النص والبلاغة المستخدمة فيه ،وما إذا كان مكتوبا أم منطوقا ،وما إذا كان نصا سرديا،أم أمريا ،أم جدليا ونحو ذلك .3_المشتركون في الخطاب ،ويعني هاليداي بهذا المفهوم

1 نفس المرجع ص 110.

2 علم النص ونظرية الترجمة ،ص29

3 نفس المرجع ،ص31

4 نفس المرجع ،ص32

طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين في الخطاب ونوع العلاقة القائمة فيما بينهم ،هل هي رسمية أم غير رسمية ،عارضة أم غير عارض ، ونحو ذلك. فهذه النقاط الثلاثة التي أشار إليها هالداي (المجال ,نوع الخطاب والمشاركين في الخطاب) إنما هي شرح وتفسير لسياق الحالي أو الموقف ، وهي من أساسيات تشكل النص .كما تضيف 'رقية حسن' عنصرا آخر يساهم في بناء النص ، وهو النظم، فوحدة النص عندها ترتكز على بنية النص التي تتحكم فيها العناصر الثلاثة المشار إليها مسبقا وعلى النظم ،وهو كذلك المكون الذي يتحكم في علاقات المعاني داخل النص ويكون وحدتها ويمكن استقصائه من خلال بعض العوامل اللفظية والنحوية1 ويمكن تصنيفه كسياق لغوي ، وتعد أدوات الربط بالنسبة ل'رقية حسن' أهم عامل في فكرة النظم ،لأنها تقوم بتحقق العلاقات المرجعية في داخل النص ،مثل قول: أ)أمتلك كتابا.ب)وهو يعالج قضية سياسية'2 ، فالضمير هو يعود على الكتاب .ومثال آخر مختلف :أ)أمتلك كتابا ،ب)وأخي يمتلك حصانا،ج) لكنه لا يركبه ،فالجملة (ب) استهدفت وضع تصنيف للمالك والمملوك ولم تستهدف الإشارة إلى شيء في الجملة (أ) ،وفيما يخص الجملة (ج) فقد دل المعنى إلى مفهوم جديد لا يرتبط بالامتلاك ولكنه دون شك يرتبط بالجملة (ب). وفي هذه الأمثلة عوامل سياقية ساهمت في مسألة الإحالة ورصد المقاصد من القول .وعليه فالسياق والنص يتحدان اتحادا أشبه بالعملة ذو الوجهتين ، ويقول جون لاينز:" لنتفق في الرأي على أن النص والسياق يكمل أحدهما الآخر ،إلا أن أغلبية النصوص المستخدمة في اللغة الدارجة اليومية تتكون من خليط من الجمل وأجزاء الجمل ،وتعابير كلامية جاهزة ،وعلى النص في مجمله أن يتسم بسمات التماسك والترابط ،كما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق"3،وفي الحديث عن التماسك والترابط في النص ،يلعب السياق دورا رئيسيا في تحقيق ذلك ،فالبحث اللساني تناول جميع أنواع السياقات وربط بين المقامات والمقالات والدلالات النحوية والارتباطات والقرائن والحقائق والمجازات ،وذلك

1 المرجع السابق 34-35.

2 نفس المرجع ،ص35

3 اللغة والمعنى والسياق ،ص218-219

لأن النص لا يمكن تفكيكه ولا تجزئته ،وتحليله ضمن مستويات اللغة وحدها غير كافي لاحتوائه وتبيان معانيه ،إذ ينبغي ان تتجاوز ذلك بالنظر الى الأبنية والمعاني ونقابلها بالمقامات والمقاصد وسياقات التواصل الاجتماعي .وقد رأى ديبو جراند أنه "ينبغي النظر الى النصوص من خلال ثلاث أوجه وهي:1 1- التركيب ،وهو الذي يتعلق بالترابط النحوي. 2-المعنى ،والذي يتعلق بالترابط المعنوي الفكروي-3 . البراغماتيك ،وهو متعلق بالخطط والأهداف والأفعال التي يسلكها النص من أجل تحقيق أهدافه. وهذه الأوجه الثلاثة تتسم بخصائص وضوابط تساهم في وصف النص ،ويمكن عند تأسيس النص وتكوينه تجاوز بعض العقبات اللغوية والغير الضرورية ،والتي يمكن استنتاجها من السياق بغض النظر إلى ذكرها في النص ،فترابط النص يجعل المتكلم قادرا على إنشاء النصوص أو الربط بين أجزائها في النص الواحد ،وذلك لما يقدمه له من أدوات الربط وخصائص السياق الذي تستخدم فيه ،كما تمكن للقارئ أو المتلقي من التمييز بين النص عن مجموعة من الجمل العشوائية ، ووصف العلاقة بين الأبنية اللغوية والوقائع غير اللغوية ،أو بالأحرى ربط المعاني للوحدات اللغوية بالمعاني المقامية التي تلامس الحدث اللغوي من السياق ،وهذه العلاقة أدت إلى بروز نوعين من المعنى'، المعنى الشكلي وهو العلاقة بين العنصر والعناصر اللغوية الأخرى ،وهو قدرته على التوارد مع عناصر أخرى والتقابل معها وما يمكن أن يتعاقب معه منها ،ومعنى المعنى بهذا المفهوم بعيد كل البعد عن الاستخدام المعتاد له ،والمعنى السياقي هو نتاج الربط بين النص والموقف الذي يتجلى فيه2.ويشير هاليداي أن ما يختص به اللساني هو 'أن الناس يمكن أن تفهم بعضها بعضا ،وذلك لأنهم بإمكانهم توقع ما سوف ينطقوه أو يكتبوه ،بحيث أن لدينا دائما توقعات لما يمكن أن يقال ،ولهذا نادرا ما نتفاجئ مفاجأة تامة بما يقال.3 وخلاصة القول هو وجب على النص أن يتناسب مع الموقف ، وذلك

1 علم النص ونظرية الترجمة ،ص44

2 محمود أحمد نحلة ،علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي ،ملتقى الفكر ،كلية الآداب ،جامعة الاسكندرية ،ط2 1422هـ2001-م ،ص58

3 نفس المرجع ص 60

لأن الموقف هو الذي يساعد على الحصول على المعرفة المرصودة وهو ما يؤسس التوقعات والتي هي في الأساس السياق الذي يتواجد لخدمة النص بعينه ، بغية تحقيق اتصال وتواصل ،فهو ما سمي بالنص المصاحب وذلك لتتبعه دائما.

3.3.أثر السياق في ظاهرة الاتساق والانسجام

يعد الاتساق والانسجام من المعايير التي تساهم في بناء النص ،فالاتساق له سمة المتابعة ،حيث لا يمكن تحديد معنى عنصر لغوي دون الاعتماد النظر في العنصر الذي يليه أو يحيل عليه ،ويسمى أيضا بالسبك ،وله مفهوم دلالي ،و"الذي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص ،والتي تحدده كنص ،ويمكن أن تسمى هذه العلاقة بالتبعية ،خاصة حين يستحيل تأويل عنصر دون الارتكاز على العنصر الذي يحيل إليه"1،وهو "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق ،بحيث يتحقق لها الرابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط،ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات و التراكيب والجمل وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط"2،وللاتساق دور في التنسيق بين الأفكار في صيغة النص الظاهرة ،وتشكيل نحوي للجمل ،وما يتعلق به من حذف وإضافة وغير ذلك .إذن فالاتساق هو تلك العلاقات الجزئية داخل النصوص ،والتي تجعل منها نصوصا حقيقية ،فتأويل عنصر من عناصر النص لا يتم إلا بتأويل العنصر الذي يحيل إليه ،ويمكن لهذا العنصر أن يكون مقاميا يدرك من السياق ،وهو عبارة عن أشياء وأحداث ومواقف خارجية ،أو أن يكون لفظيا ،ويتفرع إلى فرعين ،إحالة مسبقة ،وإحالة ملحقة ،مثل الضمائر وأسماء الإشارة ...الخ، وهذه الأدوات هي التي تنشئ العلاقات بين العبارات والأشياء والمواقف ،وبها تتميز أدوار الكلام التي تحتها جميع الضمائر الدالة على المتلفظ ،أو المخاطب ،وهذه إحالة خارج النص وليست داخله . وأما الانسجام ،أو الالتحام أو الحبك ،فيقصد به "الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في داخل النص ،بحيث

1 محمد خطابي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ،ط1 1991م ،ص15

2 ر. ديبوغراند ،النص والخطاب والإجراء ،تر: تمام حسان ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط1 1418هـ1998-م ،ص103

يمكن استعادتها مرة أخرى ،ويتطلب ذلك وجود منطقة للأفكار مبني على الخبرة وما يتوقعه الناس من النصوص في المجال"1،وهو يتطلب " من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه ،وتشتمل وسائل الانسجام على العناصر المنطقية كالسببية و العموم والمخصوص ،ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف ،والسعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ،ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم"2. ومنه يعد السياق مبدأ أساسي في عملية الانسجام ،إذ هو يضم كل عنصر من عناصر السياق وخصائصه ،فالانسجام يقتضي "تحديد نوع الدلالة التي ستمكننا من ذلك ،وهي دلالة نسبية ،أي أننا لا نؤول الجمل أو الفضائية بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها ،فالعلاقة بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبية"3،ونلاحظ بذلك أهمية السياق في تكوين الخطاب أو النص ،فبمكوناته(المتكلم والسامع والمكان و الزمان والمقام)يساهم في تأويل الخطاب ،وقد قام أحد الباحثين في وضع تصنيف للسياق ،وذلك لأن بعض الأقوال قد تظهر في سياقين مختلفين ومنه يؤدي إلى تأويلين مختلفين وهذا التصنيف جاء كالآتي '4: 1- المرسل ،وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول-2 . المتلقي ،وهو المستمع أو القراء الذي يستقبل القول-3 . الحضور ،وهم المستمعون -إن وجدوا-الذي يساهم وجودهم في تخصيص الفعل الكلامي-4 . الموضوع ،وهو مدار الحدث الكلامي-5 . المقام ،وهو زمان ومكان الحدث التواصلي ،وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيحاءات وتعبيرات الوجه-6 . القناة ،ويعنى بها كيفية التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي (كلام ،كتابة ،إشارة ،رموز...الخ-7 (النظام ،وهو اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل-8 .شكل الرسالة ،أي ما هو الشكل المقصود ،(دردشة ،جدال ،عظة ،خرافة ،رسالة

1 علم النص ونظرية الترجمة ،ص49-50

2 النص والخطاب والإجراء ،ص103

3 لسانيات النص ،ص34

4 المرجع السابق ص 53.

غرامية...الخ-9 .(المفتاح ،ويتضمن التقويم ،هل كانت الرسالة موعظة حسنة ،أو شرحا مثيرا للعواطف .

-10الغرض ،وهو ما يقصده المشاركون وينبغي أن يكون نتيجة لحدث تواصلي . وبإمكان للمتلقي أن ينتقي أحد هذه الخصائص أو بعضها أو جلها أو كلها إن تطلب الأمر لأجل تأويل مناسب للقول ،وذلك على حسب إمكاناته بتوقع ما يقال.

الفصل الثالث: أثر السياق في استنباط معاني الألفاظ اللغوية في القرآن الكريم

تمهيد:

يؤدي السياق دوره في تحديد معاني الألفاظ اللغوية على كافة الأصعدة، سواء على مستوى الكلمة الواحدة، أو على مستوى الجملة، أو على مستوى عدة جمل متواجدة في النص، كما يمكن من السياق اكتشاف ما لم يذكر من الكلام، وفي هذا الفصل نعرض فيه نماذج من القرآن الكريم نتعرف فيه أكثر على معاني الآيات ومقاصدها من السياق.

1. تحديد معاني الكلمات

1.1.معاني الأسماء

معنى كلمة (قرآن): هناك عدة كلمات تدل على كلمة القرآن مثل الذكر والكتاب والفرقان والنور، ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾ [سورة البقرة الآية رقم 02]، فالكتاب هنا يعني القرآن حيث قال الكلبي في التسهيل: "ذلك الكتاب هو ها هنا القرآن، وقيل التوراة والإنجيل وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (2)﴾ يعني القرآن باتفاق"[1]، وأما الذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ [سورة الحجر الآية 09]، يقول الزمخشري: "ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد γ وبين يديه ومن خلفه رصدًا، حتى نزل وبلغ محفوظًا من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظهما وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فكان التحريف ولم يُكل القرآن إلى غير حفظه"[2]،

[1] _أحمد الكلبي، التسهيل، ضبطه وصححه محمد سالم الهاشم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1412هـ_1995 م، ج1 ص50

[2] _الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد الموجود، وعلي محمد عوض، مكتبة القبيكان الرياض، ط1 1418هـ_1998م ج3 ص399

وأما كلمة الفرقان فيعنى بها القرآن حيث قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)﴾ [سورة الفرقان الآية 1] فالفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقة، مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (106)﴾[1] [سورة الإسراء الآية 106] والفرقان أيضا هو كلام الله تعالى لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال والصالح والطالح في الأعمال[2]. إن هذه الأسماء التي ذكرت كلها تعود على كلمة القرآن، ولكن يجدر التنبيه أن هذه الكلمات بمفهومها الأصلي لا تعني القرآن وإنما السياق الذي وردت فيه هو ما ألبسها ذلك المعنى، وقد يودي السياق إلى اتخاذ معنى آخر بعيد نوعًا ما لكلمة القرآن مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78)﴾ [سورة الإسراء الآية 78] فهذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس وزوالها إشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل وظلمته، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء وقرآن الفجر أي صلاة الصبح[3]، فعني القرآن هنا من خلال السياق بصلاة الفجر.

معنى كلمة (قلب): وردت كلمة القلب في القرآن الكريم بمعانٍ شتى ومتنوعة مثل الروح والعقل والعلم والفهم يقول الأصفهاني: "ويُعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب الآية 10] أي الأرواح وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق الآية 37]، أي علم وفهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [سورة الأنعام الآية 25] وقوله تعالى: ﴿وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾

[1]_نفس المرجع، ج4 ص330

[2]_الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق ودار الشامية بيروت ط4 1430هـ_2009م ص 634

[3]_ التسهيل، ج1 ص 495

سورة التوبة وقوله تعالى: [ولتطمئن به قلوبكم] _ سورة الأنفال الآية 10 _ أي تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم وعلى عكسه قوله تعالى: [وقذف في قلوبهم الرعب] _سورة الحشر الآية 02_ وقوله: [ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن] _ سورة الأحزاب الآية 53_ أي أجلب للعفة وقوله: [لكن تعمى القلوب التي في الصدور] _ سورة الحج الآية 46_ قيل العقل وقيل الروح>>،1 فكل سياق وردت فيه لفظة القلب إلا وقد حملت معنى مختلفًا، ويمكن إطلاق القلب على العين على سبيل المجاز كقوله تعالى: [ولكن تعمى القلوب التي في الصدور] – سورة الحج الآية 46 – وعند الفيروز آبادي فقد أعطى للقلب ثلاثة معانٍ، حيث جاء في كتابه بصائر ذوي التمييز: «وقيل القلب ورد في القرآن على ثلاثة معانٍ: الأول بمعنى العقل كقوله تعالى: [إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب] والثاني بمعنى الرأي والتدبير كقوله تعالى: [قلوبهم شتى] – سورة الحشر الآية 14 – أي آراؤهم مختلفة والثالث بمعنى حقيقة القلب التي في الصدر»2، فكل هذه المعاني يجدر الاستعانة بالسياق لبلوغ المعنى المقصود منها فبتتبع آيات الله والبحث عن مدلولاتها قد نعثر على دلالات عميقة لكلمة القلب حيث يمكن القول أن للقلب الذي في الصدر يعمل عمل العقل خصوصًا حين ذكر تعالى: [لمن كان له قلب] فالتذكير يكمن بالعقل، وما دل على ذلك هو السياق. ومن معاني القلب أيضًا الفؤاد حيث قال تعالى: [والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون] – سورة النحل الآية 78 – ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: << ثم ذكر تعالى منة على عباده في إخراجهم إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا ثم بعد هذا يرزقهم الله تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي يحسون المرئيات، والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح >>3، فالمقصود بالأفئدة حسب قوله "القلوب" والمراد بها العقول، ويمكن أيضًا للسمع والبصر أن يشغلا جزءًا من القلب وعلى إثر ذلك قوله تعالى: [لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ

[1]_نفس المرجع السابق، ص 682

[2]_فيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، القاهرة 1430هـ_2009 م ج4 ص 289

[3]_ تفسير القرآن العظيم، ص 1070

بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا]_ سورة الأعراف الآية 179_ فليس السمع أو البصر هو التقاط الأصوات عن طريق الأذن أو النظر بالعين إنما ينبغي إدراكهما بالفؤاد أو العقل أو القلب وكلها تصب في مراد واحد، ونلاحظ أن القلب أعم وأوسع من كلمة العقل، ولهذا استُعملت لفظة القلب مناسبة للسياق والمقام، فالعقل يُدرَك به فقط أما القلب فيزيد على الإدراك بالخشوع والتعمق كثيرًا والتدبر.

معنى كلمة (الرحمة): لقد شملت كلمة الرحمة في القرآن الكريم على عدة وجوه ومعانٍ كثيرة، حيث يُعنى بها الجنة نحو قوله تعالى: [وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون] _سورة آل عمران الآية107 _، ويُعنى بها أيضًا الخير كقوله تعالى: [قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءًا أو أراد بكم رحمة] _ سورة الأحزاب الآية 17_ ويقول الزمخشري عن الآية الأولى: <<ففي رحمة الله: ففي نعمته وهي الثواب المخلد، فإن قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون فيها ولا يموتون>>[1]، وأما الآية الثانية فكان الخير في العصمة من السوء، وإن الرحمة التي يتسم بها المخلوق ليست كالرحمة التي يتصف بها الخالق، فرحمة الله نعمة وفضل ورحمة العبد رقة وتعطف ويقول الأصفهاني:<< الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف وعلى هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ذاكرًا عن ربه: "إنه لما خلق الرحم قال له: أنا الرحمن وأنت الرحم، شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته" ويروى "بُتت"، فذلك إشارة إلى ما تقدم وهو أن الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركز تعالى في طبائع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان، فصار كما أن لقط الرحم من الرحمة، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما[2]، وهناك مفردات أخرى تدل على الرحمة يمكن الوصول إليها من السياق، مثال قوله تعالى: [وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة]_ سورة

[1] _ الكشاف، ج1ص 608

[2] _مفردات ألفاظ القرآن، ص348

الحديد الآية 27_ والرأفة هنا هي أقصى درجات الرحمة1، ونرى أن الفرق بين الرحمة والرأفة يتجلى في العموم والخصوص، وقد ترد الرحمة بمعنى المغفرة أو العفو أو الرقة و غير ذلك. ومجمل القول هو كل ما دل على خصال اللطف والرق والإحسان فهو في باب الرحمة، فإنما ينبغي حسن الانتقاء والاختيار للكلمات وفق مناسبتها لسياق الحال أو بالأحرى المقام.

ج)معنى كلمة (الظلم): تعني كلمة الظلم في الأصل: «وضع الشيء في غير موضعه، ومن أمثال العرب في الشبه من أشبه أباه فما ظلم، قال الأصمعي: «ما ظلم أي ما وضع الشبه في غير موضعه» 2وجاء عند الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن: «أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ومن هذا يقال ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته ويسمى ذلك اللبن الظليم» 3وقد وردت هذه الكلمة على ثلاثة أصناف وهي: الصنف الأول، ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ولذلك قال تعالى: [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] 4_ سورة لقمان الآية 13_، والصنف الثاني ظلم بين الناس وإياه قصد بقوله: [وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ] إلى قوله: [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ]، وبقوله: [إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ]_ سورة الشورى الآية 42_، وبقوله: [وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا]_ سورة الإسراء الآية 33_، والصنف الثالث ظلم النفس حيث قال تعالى: [فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ]_ سورة فاطر الآية 32_، وقال أيضًا:[ظَلَمْتُ نَفْسِي]5_ سورة النمل الآية 44_، وقال أيضًا: [وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] _سورة البقرة الآية 57_ . ونرى من خلال هذا التصنيف أن لفظة الظلم جاءت بمعانٍ عديدة كالشرك والكفر والاعتداء، وما يحدد معناها في الآية القرآنية هو السياق، فدليل أن الكفر هو من الظلم قوله تعالى: [وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]_ سورة

[1]_الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه محمد محمد تامر، دار الحديث القارة 1430هـ_ 2009 ص414

[2]_لسان العرب، مادة ظلم، ص 2756

[3]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص 537

[4]_ نفس المرجع السابق، ص 537

[5]_ نفس المرجع السابق، ص 538

البقرة الآية 254_ وأما في قوله تعالى: [إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ] _سورة الشورى الآية 42_ فهنا إشارة على الأذى والإعتداء حيث فسر الزمخشري الآية بقوله: «بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول وتفسر قراءة من قرأ بعد ما ظلم فأولئك إشارة إلى معنى من (دون لفظه) ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا المعاتب والعائب،إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون1 وفي الآية التي بعدها يعلق عليها بقوله: «ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأموروالمن صبر (على الظلم والأذى)2 ويعد الشرك من الظلم كما جاء في _سورة لقمان الآية 13_ أو كما جاء في قوله تعالى: [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون]_سورة الأنعام الآية 82_، وما يدل على أن الظلم هو الشرك هو ما ورد قبل هذه الآية قوله تعالى: [وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون]، يقول الطبري في تفسير هذه الآيتين: <<هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم الخليل عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون فقال الله تعالى ذكره فاصلا بينه وبينهم الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني بشرك ولم يشركوا في عبادته شيئا3.>> إذا فمن خلال السياق تبين أن المقصود بالظلم في هذه الآية هو الشرك.

هـ) معنى(الروح): الروح والروح بضم الراء أو فتحها هما في الأصل واحد، ولها عدة معانٍ حسب سياقاتها، فهي النفس وتعني الملك جبريل عليه السلام، ومن معانيها عيسى بن مريم عليه السلام، وكذلك تعني القرآن ويقول الأصفهاني: «وجعل الروح اسمًا للنفس قال الشاعر في صفة النار

[1]_ الكشاف، ج5 ص415

[2]_ الكشاف، ج5 417- 418

[3]_جامع البيان، ج11 ص492

فقلت له ارفعها أليك وأحيها بروحك واجعلها لها قيتة قدرا،

وذلك لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان، وجعل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك، واستجلاب المنافع، واستدفاع المضار، وهو المذكور في قوله تعالى: [ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي] – سورة الإسراء الآية 85 – وقوله:[ونفخت فيه من روحي] 1– سورة الحجر الآية 29 – ويفسر الكلبي الروح هنا بقوله: «ويسألونك عن الروح ،السائلون اليهود، وقيل قريش بإشارة اليهود، والروح هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم وقد يقال فيه النفس وقيل الروح وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك قول: [قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي]، أي من الأمور التي استأثر الله بها ولم يطلعه عليها خلقه ،وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبي وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح ممن انفرد الله بعلمه 2>> وللفظة الروح معانٍ أخرى مثال ذلك في قوله تعالى: [وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ] _سورة المجادلة الآية 22_ وتعني هنا الرحمة واللطف ويقول الزمخشري: «بلطف من عنده حُيِّيت به قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي بروح من الإيمان، على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به3»، وقوله تعالى: [يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ]_سورة النبأ الآية 38_، والروح أعظم خلقًا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين. وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقًا أعظم منه4، وقلنا إن الروح بمعنى جبريل عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: [قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ] _سورة النحل الآية 102_ وتعني المسيح عليه السلام حيث قال تعالى: [إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ] _سورة النساء الآية 171_ وسمي عيسى عليه السلام روحًا وذلك لما كان له

[1]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص368

[2]_ التسهيل، ج1ص495

[3]_ الكشاف، ج6ص71

[4]_ نفس المرجع السابق، ج6 ص 302

من إحياء الموتى[1]. وجاءت كلمة الروح بمعنى الراحة نحو قوله تعالى: [فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّة نَعِيمٍ] _سورة الواقعة الآية 89_ إذا فخلاصة القول هو أن لفظة الروح وردت في القرآن الكريم 20 مرة ولا يمكن تفسيرها إلا من سياق الآية.

2.1.معاني الأفعال

معنى (ضرب): جاء في لسان العرب: «ضرب، الضرب معروف والضرب مصدر ضربته، وضربه يضربه ضرباً وضربه وضرب الوتد يضربه ضرباً، دقه حتى رسب في الأرض[2]»، ويقول ابن الجوزي في باب الضرب: «الأصل في الضرب الجلد بالسوط وما أشبهه ثم نقل بالاستعارة إلى مواضع فيقال ضرب في الأرض إذا سار، وفلان ضارب أي محترف والضرب رجل خفيف الجسم[3]» وورد الفعل ضرب في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، الوجه الأول في قوله تعالى: [إذا ضربتم في سبيل الله] _سورة النساء الآية 94 _أي سافرتم في الجهاد، وفي قوله تعالى: [وآخرون يضربون في الأرض] _سورة المزمل الآية 20_ أي يسيرون في الأرض[4]، فضرب هنا يقصد بها السير، والوجه الثاني الضرب باليد وبالآلة المستعملة باليد، ومنه قوله تعالى في سورة النساء: [واضربوهن] _سورة النساء الآية 34_ وفي الأنفال قوله تعالى: [فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان]5_ سورة الأنفال الآية 12_، والوجه الثالث الوصف ومنه قوله تعالى: [إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها] _سورة البقرة الآية 26_ وفي قوله تعالى: [وضربنا لكم الأمثال]6_ سورة إبراهيم الآية 25_ وقوله تعالى: [وتلك الأمثال نضربها للناس

---

[1]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص369

[2]_لسان العرب، مادة 'ضرب' ص2565

[3]_ابن الجوزي، نزهة أعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 1407هـ_1987 م ص400-401

[4]_ نفس المرجع السابق ص 401-402

[5]_ نفس المرجع السابق ص 401-402

[6]_ نفس المرجع السابق ص 401-402

لعلهم يتفكرون]_ سورة الحشر الآية 21_ ويمكن للسياق أن يحدد المعنى المقصود للفعل ضرب من الآية القرآنية ومن معانيها أيضًا التحف حيث قال الراغب الأصفهاني: «ضربت عليهم الذلة سورة آل عمران، الآية 112_ أي إلتحفتهم الذلة التحاف الخيمة بمن ضربت عليه، وعلى هذا [أُضربت عليهم المسكنة]، ومنه أستعير [فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا1] _سورة الكهف الآية 111 » والضرب في هذه الآية يفسره ابن عاشور بمعنى الوضع، كما يقال ضرب عليه حجابًا، ومنه قوله تعالى: [وضربت عليهم الذلة] ويقصد بالضرب على الآذان كناية عن الإنامة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع، لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم، بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان2، فالله عز وجل أودع على أهل الكهف النوم عندما دخلوا الكهف فناموا ما يزيد عن ثلاثة قرون، ومن معاني الفعل ضرب الغطاء والتستر حيث قال الله تعالى: [وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن] _سورة النور الآية 31_ . فقد أمرت المؤمنات هنا بستر أنفسهن وتغطية رؤوسهن وسياق الآية يؤكد على معنى الكلمة. وقد جاء في تفسير الوسيط:« والمراد من الآية كما روي عن أبي حاتم عن ابن جبير، أمرهِنَّ بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء3، وللفظة ضرب معنى آخر وهو الترك والإعراض كما جاء في قوله تعالى: [أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ] » ويقول الكلبي: «الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته، والذكر يراد به القرآن والتذكير والوعظ4» فمقصد الآية يشير إلى إنكار ترك ما هم عليه من الإسراف والإعراض عن ذلك.

معنى الفعل (شرى):

[1]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص505-506

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس 1984م، ج15ص268

[3]_ التفسير الوسيط، تأليف لجنة من العلماء، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط3 1413 هـ_1992 م، ص1405

[4]_ التسهيل، ج2ص308

قال الراغب الاصفهاني في اصل الكلمة :<<الشراء والبيع يتلازمان ،فالمشتري دافع الثمن واخذ مثمن والبائع دافع المثمن واخذ الثمن>>1،ومن حيث استعمال هذا الفعل ،فقد يقصد به البيع للشراء مثل قوله تعالى [وشروه بثمن بخس]_سورة يوسف 20_ ،أي باعه ويجيز الاصفهاني بين شراب واشترى الاشتراك في المعنى ،إذ قد تعني يا لي باع أو اشترى حسب الموقف وقال :<<وتجوز بالشراء والاشتراء في كل ما يحصل به شيء نحو [ان الذين يشترون بعهد الله]_سورة آل عمران الآية 77_ ،و[لا تشترون بآيات الله] _199_ ،و[اشتروا الحياة الدنيا] _ سورة البقرة الآية 86_،و[أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى]2 _16"_،وقد ذكر علماء التفسير ان اللفظ شرى قد أتى في القران الكريم على ثلاثة أضرب ،الأول الشراء أو الابتياع ومنه قوله تعالى:[ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم]_ سورة التوبة 111_ ،وجاء في التسهيل :"وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله الى يوم القيامة ،قال بعضهم: ما أكرم الله فإن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقها ثم وهبها لنا ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي ،فإنها لصفقة رابحة ،[يقاتلون في سبيل الله] جملة في موضع الحالي بيان للشراء [فاستبشروا بيعكم الذي بايعتم به] ،قال بعضهم: ناهيك عن البائع فيه رب العلى والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم"3. والثاني البيع نحو قوله تعالى: [بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا]_ سورة البقرة الآية 90_ ،قال الزمخشري: <<اشتروا به أنفسهم ،والمخصوص بالذم: أن يكفروا ،واشتروا بمعنى باعوا4 ،والثالث بمعنى اختار ،كقوله تعالى اولئك الذين [اشتروا الضلالة بالهدى] ،أي اختاروا ،وقوله تعالى:[يشترون به ثمنا قليلا] ،وكذلك قوله تعالى:[ومن الناس من يشتري لهو الحديث]5_سورة لقمان الآية 06_ ،فقد اختار الكافرون أن يضلوا بدل أن يهتدوا ،ومن الناس من يختار لهو الحديث بدل الاستماع

[1]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص 453

[2]_نفس المرجع السابق

[3]_ التسهيل، ج1ص371

[4]_ الكشاف، ج1ص297

[5]_ نزهة أعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص374

للقران الكريم أو للمواعد والدروس والعبر التي يلقيها أهل الذكر الحكيم ،فنرى هنا ترك شيء كر هدى أو الاستماع إلى الحق والتمسك بشيء آخر كالضلالة أو لهو الحديث ،وعن قوله [يشترون به ثمنا قليلا] ، فهنا اختاروا الباطلة بدل الحق . وتختلف المعاني باختلاف السياق الذي وردت فيه.

ج) معنى الفعل (كتب): يعني هذا الفعل من الكتابة او الخط ،فنقول كتبه: أي خطه' ،وكذلك اكتتبه1 واستملأه ،قال تعالى:[اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا]_ سورة الفرقان الآية 05_ ،وفي آيات الله فقد ولدت بمعاني كثيره منها 'جعل' ،نحو قوله تعالى:[فاكتبنا مع الشاهدين]_ سورة آل عمران الآية 53_ ،أي: اجعلنا في زمرتهم إشارة إلى قوله:[فأولئك الذين أنعم الله عليهم]النساء-69- ،وورد بمعنى فرض كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم)البقرة -183- ،وقوله:[كتب عليكم القتال وهو كره لكم] _216_ ،وقوله تعالى:[وكتب عليهم فيها ان النفس بالنفس]_ سورة المائدة الآية45_ ،أي أوجبنا وفرضنا ،ويمكن أن ترد بمعنى أمضه حيث يعبر بالكتابة عن القضاء للممضي وما يصير في حكم المضي وعلى هذا حمل قوله تعالى:[بلى ورسلنا لديهم يكتبون]_ سورة الزخرف الآية 80_ ،ومن معاني كتب أيضا حسب استعمالها في السياق قدر مثل قوله تعالى :[قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا]_ سورة التوبة الآية 51_ ،أي ما قدره وقضاه2 ،وجعل الزمر شريك الفعل كتب بمعنى اختص حيث قال:<<[إلا ما كتب الله لنا] مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة3>>،وجاء الفعل كتب بمعنى أعطى أو وهب نحو قوله تعالى:[أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) _سورة المائدة الآية 21_، قيل :معنى ذلك وهبها الله لكم 4،أو قسمها لكم5 .ويشير الزمخشري إلى مجيء هذا الفعل بمعنى 'حفظ' حيث قال

[1]_ لسان العرب مادة كتب ص3816

[2]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص699-700

[3]_ الكشاف، ج3 ص52

[4]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص700

[5]_ الكشاف، ج2 ص221

في تفسيره لقوله تعالى: [لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق]_ سورة آل عمران الآية 181_ :"(سنكتب ما قالوا) في صحائف الحافظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه"1. وقد تحققت هذه المعاني بفضل السياق الذي استعملت فيه.

د) معنى الفعل (نظر): تعددت معاني الفعل 'نظر' في القران الكريم ،أما أصله فمن النظر وهو 'حس العين '2،ومنه قوله تعالى:[فانظر إلى طعامك وشرابك لم يستنه]_ سورة البقرة الآية 259 _،وقد يخرج عن معناه الأصلي حسب السياق الذي ولد فيه ليحصل على معنى آخر مثل قوله تعالى:[وانتظر إنا منتظرون) _ سورة هود الآية 128_،ونظر وانتظر شيء واحد'3 ،وقد جعل ابن الجوزية النظر على أربعة أوجه 4،فالوجه الأول هو الرؤية والمشاهدة ومنه قوله :[تعالى وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون]_سورة البقرة الآية 50_ وقوله تعالى:[تراهم ينظرون إليك] _سورة الأعراف_، والوجه الثاني الانتظار ومنه قوله تعالى:[ولا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا]_ سورة البقرة الآية 104- ،قال الزمخشري: <<انظرنا من نظره إذا انتظره ،وقرأ أبي ، انظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ"5،وكذلك في قوله: [ما ينظرون إلا صيحة واحدة]_ سورة يس الآية 49_ ،أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة 6،والوجه الثالث ل'نظر' هو 'تفكر' و'اعتبر' ،ومنه قوله تعالى: [انظروا إلى ثمره]_ سورة الأنعام الآية 99_ وقوله تعالى:[أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت]_ سورة الغاشية الآية 17_ ،فيعني هنا التدبر والتأمل والتفكر في حكمة الله وخلقه ،والوجه الرابع بمعنى 'رحم' ،ومن ذلك قوله تعالى:[ولا ينظر إليهم يوم القيامة]_سورة آل عمران الآية77___ ،وقوله تعالى:[فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون]_سورة البقرة الآية 162_ ،أي يرحمون ،ويرى

---

[1]_ نفس المرجع، ج6 ص667

[2]_ لسان العرب، مادة (نظر)ص 4465

[3]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص813

[4]_ ينظر، نزهة أعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص588

[5]_ الكشاف، ج1ص307

[6]_ التسهيل، ج2ص226

الراغب الاصفهاني أن 'الفعل 'نظر' قد يأتي بمعنى التحير في الأمور كقوله تعالى:[فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون]_سورة البقرة الآية 55_.

3.1.معاني الأدوات

معاني (إلى): وردت الأداة 'إلى' في القران الكريم في (737) موضعا وقد اكتسبت من السياق الذي ولدت فيه معاني مختلفة ويشير 'ابن هشام' أن الأداة 'إلى' تملك ثمانية معاني"1،

1-انتهاء الغاية الزمانية نحو قوله تعالى: [ثم أتموا الصيام الى الليل]_ سورة البقرة الآية 187_،و المكانية نحو قوله :[من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى]_سورة الإسراء الآية01_، وإذا دلت قرينة على دخول ما بعدها نحو 'قرأت القرآن من أوله الى آخره '،أو خروجه نحو [أتموا الصيام إلى الليل] ونحو [نظرة إلى ميسرة]_سورة البقرة_، عمل بها ،وهذا المعنى هو المعنى الأصلي ،حيث "انتهاء الغاية في الزمان والمكان وغيرهما وهو أصل معانيها.2"

-2 المعية ،أي بمعنى 'مع' كقوله تعالى[من أنصاري إلى الله]_سورة آل عمران الآية 52_،فهي ضمت شيئا مع شيء ،وكقوله تعالى:[وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين]3_ سورة المائدة الآية 06_

-3قد ترد 'إلى' للتبيين "كتبيين أن الاسم المجرور بها فاعل في المعنى بشرط أن تقع بعد لفظ يفيد حبا أو بعضها من فعل تعجب أو اسم التفضيل"4 مثل قوله تعالى:[رب السجن أحب إلي] _ سورة يوسف الآية 33_ وهنا تعلق 'إلى' بشيء ذاتي فيه تفضيل للسجن ،وقد بين هذا المعنى على هذه الحال هو السياق .

---

[1] _ مغني اللبيب ص78-79

[2] _ ابن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1413هـ_1992 م، ص385

[3] _ نزهة أعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص103

[4] _ محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 1417هـ_1996 م، ص321

-4قد تكون 'إلى' مرادفة ل'لام الجر' مثل قوله تعالى : [ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم] _ سورة يونس الآية 25_ وكذلك قوله: [ليجمعنكم إلى يوم القيامة] الأنعام-12.-

-5 جاء في القرآن الكريم أن 'إلى' وردت بمعنى 'في'كما في قوله: [ليجمعنكم إلى يوم القيامة] أي: 'في يوم القيامة.'

'-6 إلى' للابتداء' مثل حرف 'الباء' ومنه قوله تعالى: [وإذا خلوا إلى شياطينهم] _ سورة البقرة الآية 16_أي: بشياطينهم.

'-7 إلى' بمعنى 'عند' وهذا نجده في قول الشاعر :فهل لكم فيما إلي فإنني ...طبيب بما أعيا النطاسي حذيما1 .

'-8إلى' تفيد التوكيد كقوله تعالى: [أفئدة من الناس تهوي إليهم] _ سورة إبراهيم الآية 37_ ،وقد ضمنت 'تهوي' بمعنى 'تميل' وقد انفرد بهذا الفراء ،ويرجح ابن مالك أن تكون زائدة وأن يكون الأصل 'تهوي' بكسر الواو .وقد اتفق جمهور العلماء على أنّ 'إلى' لا تخرج عن معناها الأساسي وهو انتهاء الغاية ،وهذه المعاني الثانوية تم تأويلها بحسب السياقات التي وردت فيها ،وكان لابد من الإشارة إليها للإفادة ،كما يمكن النظر إلى هذه الأداة كفعل لغوي إذا ما تناولناها من منظور تداولي ،فهذه المعاني ليست فقط مضامين في القول ،وإنما تتجلى قيمتها في صنع موقف اجتماعي أو ذاتي تهدف من خلاله التأثير في المتلقي ،كدعوته إلى فعل شيء أو تركه ،كما رأينا في قوله تعالى: [من أنصاري إلى الله]،فهذه الآية نرى فيها دعوة إلى الانضمام في حزب الله ،ولهذا أولت بمعنى (مع).

معنى (حتى): تُعدّ 'حتى' من أكثر الأدوات المثيرة للجدل خصوصًا في الدراسات النحوية، والسبب في ذلك هو تعدد استعمالاتها بأشكال مختلفة ووجوه متنوعة، وهذه الأوجه كلها تدل على الغاية، ويمكن أن تكون الغاية واضحة أو يتعين على السياق رصدها، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 5]

[1]_ لسان العرب، ص120

وقوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: 235]، فهنا حتى تفيد الغاية وهي بيّنة، ففي قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ فهي جملة من القول على حال وآخر الأحوال المفروضة أو المتوهمة بحسب ذلك الشأن، كالشدة في قوله: (وزلزلوا حتى يقول) فإذا أُريد حكاية الحال ولولا ذلك لم تُعطف الجملة الحالية على الجملة الماضية، فإن أُريد الاستقبال لزم النصب.1 وذكر أهل التفسير أن حتى في القرآن الكريم جاءت على أربعة مواضع،2 أحدها أن تكون حرفًا جارا كـ 'إلى' كقوله: (حتى مطلع الفجر) ولها غاية، والثاني أن تكون عاطفة بمنزلة الواو تعطف ما بعدها على ما قبلها وتشركه في إعرابه كقولك: "قدم الحاج حتى المشاة"، وتكون بالتعظيم مثل: "مات الناس حتى الأنبياء"، وللتحقير مثل: "اجترأ عليه الناس حتى الصبيان"، وقد أتى العطف هكذا عند النحاة ولكنه لم يرد في القرآن الكريم، والثالث يمكن أن تكون حرف استئناف، مثل (الفاء) يستأنف بها الكلام، مثل قوله تعالى: (حتى يقول الرسول) برفع الفعل (يقول) وقوله: حتى (عفوا وقالوا)الأعراف-95- وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يمل حتى تملوا"، فهذه استئنافية، لأن ليس المقصود هنا إثبات الملل لله تعالى بعد مللهم3، والرابع هو ورود حتى بمعنى (كي) كقوله تعالى: (حتى يبلغ الكتاب أجله) وقوله: (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين)محمد-31-، وذكر ابن الجوزي أنها قد تأتي بمعنى "فلما" نحو قوله تعالى: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور)هود-40 أي: "فلما جاء أمرنا"، وفي قوله (حتى إذا استيأس الرسل) يوسف-110-، وقوله أيضاً (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) الأنبياء-96-. ورغم تعدد معاني 'حتى' إلا أنها تصب في معنى الغاية وهو الأصل.

ج) معنى (إلا): هي تفيد الاستثناء في الأصل، حيث جاء تعريفها بأنها "حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب وظيفته الاستثناء أو الحصر"، فإذا ذكر مع 'إلا' المستثنى منه ولم يسبق بنفي أو نهي أو استفهام إنكاري كانت للاستثناء، ويكون الاستثناء في هذه الحالة بحسب السياق متصلاً أو منقطعًا،

[1]_ البرهان، ص1091

[2]_ نزهة أعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص243-245

[3]_ مفردات ألفاظ القرآن، ص218

وإذا سبقت بنفي أو نهي أو استفهام إنكاري كانت أداة حصر، وسمي الاستثناء عندئذ بالمفرغ أي أنه مفرغ لما بعد 'إلا'[1]. وأما في القرآن الكريم فقد جاءت عند الزركشي بسبع معانٍ مختلفة[2]، فالأول وهو الأصل وهو الاستثناء كقوله تعالى: (إلا الذين آمنوا)، وقد تقدر بـ'لكن' أي: 'لكن الذين آمنوا'، ومثله قوله تعالى: (لست عليهم بمسيطر – إلا من تولى وكفر)، والثاني بمعنى الإضراب، كـ'بل' مثل قوله تعالى: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى – إلا تذكرة لمن يخشى) أي: 'بل تذكرة'، والثالث تكون عاطفة مثل 'الواو' تؤدي الشراكة مثل قوله تعالى: (لئلا يكون للناس حجة إلا الذين ظلموا) ومعناه: 'والذين ظلموا'، وقوله: (إني لا يخاف لدي المرسلون – إلا من ظلم) أي: 'ومن ظلم' تأولها على الاستثناء المنقطع، ويمكن أن نعتبرها استئنافًا، نظرًا لقوله بعد ذلك: (ثم بدل حسنًا بعد سوء فإني غفور رحيم)، والرابع هو ورودها في بعض آيات الله بمعنى 'غير' نحو قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، فلا يوجد استثناء، والتقدير هكذا يكون معناه: 'لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا' وهو باطل، ويجدر أن تكون 'غير' صفة، ويعرب الاسم الواقع بعد 'إلا' إعراب 'غير'، وقد تكون 'إلا' في هذه الآية بمعنى 'بدل' أو 'عوض' أي: 'بدل الله' أو 'عوض الله' وهو المعنى الخامس، أما المعنى السادس لـ 'إلا' فهو أداة حصر، وتأتي بعد النفي وهي موجودة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون)، وهنا الحصر ظاهر وصريح، وأما في قوله تعالى: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)، فهو مقدر بحيث أن 'إلا' دخلت بعد لفظ الإيجاب 'إلا' لتأويل ما سبق 'إلا' بالنفي أي: 'فإنما لا تسهل' وهو معنى 'كبيرة'، وسابعًا تكون أشبه بأداة الشرط 'إن'[3] مثل قوله تعالى: (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض) وقوله: (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين). ونستنتج من ذلك أن الأداة 'إلا' لا يمكن إدراك أحد وجوهها حتى يتم النظر في موقعها في الجملة، وعلاقتها بما جاورها وما سبقها ولحقها، والبادئ أن علماء النحو والأصول قد أولوا عناية خاصة

[1]_ معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص336

[2]_ البرهان، ص1068 -1069-1070-1071

[3]_ الجنى الداني، ص522

لهذه الأداة نظرًا لتشعب مواضعها، وما السياق على هذا الوجه إلا السبيل الذي يترتب عليه من أحكام وآثار.

د) معنى (أن): بفتح الألف وتسكين النون، جعل لها النحاة حوالي عشرة أقسام[1]، منها المصدرية وهي من الحروف الموصولة وتوصل بالفعل المتصرف ماضياً ومضارعاً وأمراً، نحو قوله تعالى: (وأن تصوموا خير لكم) وقوله تعالى: (وأن تصبروا خير لكم) وقوله تعالى: (وأن تعفوا أقرب للتقوى) وتستعمل أن للتعليل بمعنى لئلا مثل قوله تعالى: (يبين الله لكم أن تضلوا) وكذا قوله تعالى: (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله: (أن تقول نفس يا حسرتي)[2] ومن معاني أن النفي مثل لا كقوله تعالى قل (إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد) يقول الزمخشري: أن يؤتى أحد وما بينهما اعتراض، أي: "ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم"[3]. ولا تختلف "أن" عن "إن" بكسر الهمزة إذا استعملت بمعنى "إذا" أو في الشرط أو مخففة من الثقيلة، وأمثلة ذلك قوله تعالى: (أن تضل إحداهما فتذكر...) ومثل ذلك قوله تعالى: (إن تعذبهم فإنهم عبادك)[4] وقوله تعالى: (بل عجبوا أن جاءهم) بمعنى "إذا"[5] مثل ذلك قوله تعالى: (انطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) [6]وقوله تعالى: (أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) ولـ "أن" معانٍ كثيرة في القرآن، ويمكن أن يحدد المعنى من خلال استعمالاتها في السياق بمراعاة ما قبلها أو ما بعدها أو من كلا الجانبين.

---

[1] _ الجني الداني، ص216

[2] _ البرهان، ص1061

[3] _ الكشاف، ج1 ص570

[4] _ مفردات ألفاظ القرآن، ص93

[5] _ البرهان، ص1062

[6] _ مفردات ألفاظ القرآن، ص92

2. أثر السياق في تحديد معاني الجمل

1.2.معاني الجمل الخبرية

معاني جمل التعجب: إن العجب هو حال يعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، ولهذا قال بعض الحكماء: "العجب ما لا يعرف سببه"، ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب، إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية.1 وعليه، قد يرد معنى التعجب بصيغ مختلفة في كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ الصافات-12-، وقوله: ﴿قرآنا عجبا﴾ الجن-01-، وقوله: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ ص-05-، وقد يرد التعجب بصيغة الاستفهام كقوله تعالى: ﴿الحاقة- ما الحاقة﴾ الحاقة-01-، فنلاحظ في الآية معنيين، معنى صريح وهو الاستفهام وهو ظاهر تدل عليه القرينة اللفظية الأداة (ما) الاستفهامية، ومعنى ضمني غير مباشر يتمثل في التهويل والتعظيم فيما لحقها في نفس السياق، وهو 'الحاقة'، وإذا تأملنا أكثر في الآية ونظرنا إلى المتكلم الذي هو الله سبحانه وتعالى، فهو يستعظم معنى الحاقة أمام المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فيوم القيامة هي بمثابة سياق خارجي والأمر متعلق بتصوير عظمة ذلك اليوم، ولا يقصد هنا استخبار عما هو غير معلوم، بل 'الحاقة' هي عبارة عن معلومة حقيقة ثابتة، فدلالة التعجب حملت في هذه الجملة لوجود قرينة مستلزمة والتي أثرت في دلالة العناصر اللغوية، ف(ما) الاستفهامية هي مؤشر على ما يسمى بالقوة الإنجازية2 في الكلام، إذ كان الأصل 'الحاقة ما هي؟' فوقع الظاهر موقع المتضمن لزيادة في التعظيم. وعليه نرى بأن سياق الحال لعب دورًا في توجيه دلالة التعجب في الآية وأمثلة أخرى في ذلك كقوله تعالى ﴿فكيف إذا جئنا بكل أمة بشهيد﴾ النساء-41-،

---

[1] _مفردات ألفاظ القرآن، ص547

[2] _ كتب "القوة الإنجازية" يقصد بها القدرة على إنجاز فعل الكلامي وتحقيق الغرض بعينه وتتباين من حيث الشدة والضعف وتنقسم إلى قسمين، قوة إنجازية حرفية وهي مباشرة وتكون الأداة هي العلامة أو المؤشر لتلك القوة وقوة إنجازية مستلزمة وهي ضمنية غير مباشرة تستنبط من السياق. ينظر، محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ص 230

أي: 'فكيف حالهم إذا جئنا'، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو: 'كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس1' ف(كيف) أداة الاستفهام ولكنها في موقعها تستلزم معنى التهويل والتعظيم، وبالتالي لبست معنى التعجب، وفي قوله تعالى ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً﴾ البقرة-38-، فالآية من حيث السياق تحيل على التعجب، ونرى معنى التوبيخ أيضاً فيها، وهو كقوله ﴿فأين تذهبون﴾. فالمعنى حسب رأي الفراء 'وقد كنتم'2، وهذا الأسلوب من التعجب متواجد بكثرة في آيات الله، ومن الصيغ التي ترد بمعنى التعجب، قد يرد بصيغة النداء كقوله تعالى ﴿وجاءت سيارة فأرسل واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾ يوسف-19-، ففي هذه الآية استعمل النداء على وجه التعجب؛ لأن كلمة 'البشرى' لا يسري معها النداء إلا على سبيل المجاز، فالنداء لا يكون إلا للعاقل، مثل قوله تعالى ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ يس-30-، وفي قوله أيضاً ﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجاب﴾ 3هود-72-، فحرف النداء (يا) مقترن بالتعجب، والسبب في هذا التحول من النداء إلى التعجب يكمن في أحوال المتكلم، لأن الموقف يدل على أن الذي أرسل إلى البئر لاستخراج الماء كان يتعجب مما وجده في البئر ولم يكن ينادي بالبشرى، وكذلك في سورة (يس) فحال الموقف يخبرنا بهلاك القرية بسبب استهزائهم بالرسل، قال الكلبي: "(يا حسرة على العباد) نداء للحسرة، كأنه قال (يا حسرة احذري فهذا وقتك) وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم لما فعلوا من استهزائهم بالرسل4. ومنه نستنتج مما جاء في الآيتين ورود التعجب بصيغة النداء بفعل دلالة سياق الموقف، فالتعظيم والتهويل في الآية التي في سورة (يس) عبارة عن قرينة حالية وهي دلالة مستلزمة شاركت وساعدت في الحكم عليها بالتعجب. ومن علامات التعجب في كتاب الله تعالى

---

[1]_البرهان، ص1127

[2]_الفراء، معاني القرآن تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1 1374هـ_1955م، ص23

[3]_معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص1466

[4]_التسهيل، ج2 ص223

يمكن أن يأتي على صيغة القسم كقوله تعالى ﴿تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا﴾ يوسف-85، فتاء القسم هنا تدل على التعجب حيث "تاء الجر بالقسم لا تدخل إلا على لفظ الجلالة (الله) ويحذف فعل القسم وجوبًا معها وقد أضافت معنى التعجب في السياق الذي تريد فيه"[1]، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ الأنبياء-21-، يقول الزمخشري عن هذه الآية: "الباء أصل حروف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى التعجب كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه مع عتو النمرود وقهره".[2]

معاني جمل المدح و الذم: يقصد بالمدح "الثناء"، أي ذكر الصفات الحسنة، وأما الذم فعكسه ونقيضه[3]، وكلمتا نعم وبئس هما غالبًا الأداتان اللتان تستعملان في أسلوبي المدح والذم، ونجد أيضًا 'حبذا' و 'لا حبذا'، وهناك ما يستفاد منه معاني المدح أو الذم دون هذه الكلمات، لأن السياق قد يكشف أغراض المدح أو الذم، وأما في كتاب الله، فيمكن أن نجد المدح الصريح أو الظاهر، كقوله تعالى: ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ [الملك: 1]، وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك: 1]، وأمثلة مثل هذه لا تحتاج قرينة لفهم دلالات الآية، وهناك من المدح ما يقتضي قرينة، كقوله تعالى: ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ [الأعراف: 46]، فبالإضافة إلى دلالة الدعاء يوجد مدح كدلالة ثانية وقد بينها سياق الحال، ونجد عدة ألفاظ تحيل على هذا النوع من المدح كالسلام والرضا وطوبى[4]...الخ، وأما المدح غير المباشر فهو مدح الممدوح بصورة غير مباشرة دون ذكر الصفات الحسنة، وما يضفي دلالة المدح هو دلالة السياق، مثل ذلك قوله تعالى ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ البقرة-45-، فهنا في هذا الجزء من الآية مدح للصلاة فالهاء ضمير يعود عليها، وكلمة

[1]_معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص505

[2]_مغني اللبيب، ص123

[3]_لسان العرب، ص 4156-1516

[4]_ينظر، أساليب المدح والذم في القرآن، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، اليمن، ص85

'كبيرة' دلالة على عظمتها ومكانتها في الإسلام، لأن الصلاة هي أولى العبادات التي أوجبت، والعمل بها واجب، وقد فرضت حتى على بني إسرائيل كما جاء في السياق القرآني في قوله ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ فواو الجماعة تعود عليهم، كما نلاحظ مدحًا غير مباشر للمسلمين، إذ وصفهم الله بالخاشعين، فبحكم السياق الذي يوحي على أعمال المؤمنين، ومن أمثلة المدح غير المباشر، قوله تعالى ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ مريم-28-، فيصف الله سبحانه وتعالى أمته مريم العذراء عليها السلام بالعفة والطهارة وأصلها الشريف بطريقة غير مباشرة، فذكر أمها الصالحة وأبوها التقي، وجاء هذا الأسلوب من المدح في موضع آخر، لما مدح الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ الأنفال-33-، فهذا من كرم الله تعالى لنبيه الكريم وتشريفا بقدره ومكانته، بحيث ما كان الله ليستأصل من قوم محمد صلى الله عليه وسلم طالما هو موجود بينهم، وخصوصا لما تآمروا عليه ومحاولتهم لقتله. وهناك أساليب أخرى للمدح ولكنها تحتاج إلى تتبع وتعمق في سياقها أكثر مما سبق، وأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ الزمر: 3، يوجد في هذه الآية ثناء ومدح أدركناه من السياق، فالله سبحانه وتعالى قد مدح المؤمنين المصدقين بذم الكافرين المكذبين المعاندين، وأبرز هذا المدح وكأنه نطق به، مدح بكلمات لم تقال صراحة، وإنما عبرت عنه كلمات الذم للأضداد الذين كفروا بنعم الله واستمروا في عنادهم وتكذيبهم، ومنه ظهرت بذلك محاسن المؤمنين المصدقين الأخيار[1]، ومثال آخر على هذا النحو، قوله تعالى ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ _سورة الأحقاف الآية 10 _، فالمدح هنا يعتمد على ذم الضد، أي بقوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾، فهنا إشارة إلى من آمن وصدق وشهد بالكتاب المنزل، فأولئك يهديهم الله، وحال المؤمنين تبين من ذم الكافرين، وهو

[1] _نفس المرجع السابق، ص131

ما أثر في توجيه معنى عميق كالمدح في الآية. وقد كان هذا فيما يخص أسلوب المدح، وأما في أسلوب الذم، فنجد أيضًا ما هو ظاهر ومصرح، كقوله تعالى: ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير﴾ الملك-06-، وقوله أيضًا: ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ البقرة-257-، فهنا ذم بطريقة مباشرة للكافرين والمشركين بأنهم من أهل النار. ومن أساليب الذم ما هو غير مباشر يأتي على هيئة التحذير أو التهديد، وليس بالضرورة ذكر الصفات السيئة أو القبيحة للمذموم، ولا يُفهم هذا النوع من الذم إلا من السياق، وقد يأتي بصيغ شتى ومتنوعة، مثل قوله تعالى: ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره﴾ التوبة-84-، فالذم جاء بدون تصريح، حيث حرم الله على النبي صلى الله عليه وسلم القيام واتباع جنازة المنافقين والكافرين، ونهاه عن ذلك؛ لأنهم أناس يظهرون إيمانهم ويخفون كفرهم، وقد ذمهم بهذه الطريقة في موضع آخر نحو قوله ﴿فقل لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًا﴾التوبة-83- ،فالله عز وجل قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعرض عن المنافقين ولا يصلي عليهم ولا يزكيهم ولا يدعوهم للجهاد، ومن هذا السياق يتبين الذم. ومن أساليب الذم كما في قوله تعالى ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾الدخان-49- ،إن لفظتي 'العزيز' و'الكريم' في الأصل تدلان على الثناء، ولكن السياق له رأي آخر، وذلك لأن الآيات المجاورة تحيل عكس ذلك، فظاهر الآية يشير إلى تجاوز مبدأ المناسبة في الكلام، أما المقصود هنا فهو الذليل الحقير، وهو موجه لمن ذاق من شجرة الزقوم وهي طعام الأثيم كما نصت الآية التي قبلها، قال الزمخشري: "(ذق إنك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه، وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: 'ما بين جبليها أعز وأكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئًا"[1]، ومثال آخر، قوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾الانشقاق-24- ،فعادة ما يكون التبشير لاستقبال الخيرات والأفراح والأخبار المبهجة، ولكن البشرى في الآية بالعذاب دليل على ذم الكفار فالبشارة في موضع النذارة تهكمًا بهم"[2]. ومن هنا نقول أن السياق بكلا جانبيه قد

[1]_الكشاف، ج5 ص477

[2]_التسهيل، ج2ص554

أسهم في تحديد مواضع المدح والذم، وخاصة لما تداخلت مجموعة من القرائن، سواء أكانت لفظية أم معنوية أم حالية، فكلها تظافرت في إعطاء الوجه الحقيقي لأسلوبي المدح والذم في آيات الله.

ج) معاني الجمل الشرطية: تؤدي عناصر السياق من حيث الألفاظ، ومن حيث المواقف والأحوال، إلى إحداث انتقال دلالي إلى معنى الشرط، فظروف المخاطب والمتكلم وقرائن الأحوال المعتبرة التي تحيط بالكلام، وكذلك السوابق واللواحق وغيرها من القرائن المقالية التي تواجدت في السياق، قد تبرز معنى الشرط في النص، أو قد تحيل إلى معنى آخر غيره. والشرط هو "كل حكم معلوم متعلق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له"[1]، ويتكون الشرط من جملتين: جملة الشرط وجملة جواب الشرط، ومعنى الشرط لا يتم إلا بهما معًا، ولا تحصل الفائدة في الشرط إلا بهما، كقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ الحجرات-06-، ومنه نرى أن عامل الفعل أو الحدث لا يدل على عمل زمني، بل هو مرتبط بواقع أبقي فيه على الدلالة الحاضرة فقط، مما يصبح الشرط في سياقاته مقتضيًا تظافر مجموعة من القرائن (لفظية ومعنوية وحالية وحتى عقلية)، لأن معنى اقتران الكلام على الشرط يقف على إدراجه في الحاضر، والملاحظ على سبيل الطرافة أن الشرط هو حدث لم يقع أصلًا في الواقع، فتحققه على الواقع يعود على تحقق غيره، فمتى ما تحقق الأول تحقق الثاني، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوًا قديرًا﴾ النساء -149-، ورد قبل هذه الآية إباحة رد الإساءة للمظلوم على الظالم حين قال ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾، فقد جاء ما هو خير من ذلك في هذه الآية، حيث حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بالسوء وإن كان على وجه الانتصار بعدما أطلق الجهر به وجعله محبوبًا، و" حث على الأحَبّ إليه والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية"، وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيبًا للعفو، ثم عطفه عليها اعتِدادًا به وتنبيهًا على منزلته، و"أن له مكانًا في باب الخير وسطًا"[2]، ودليل العفو هو الغرض المقصود، وذلك حين قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا

[1]_مفردات ألفاظ القرآن، ص450

[2]_الكشاف، ج2ص170

قَدِيرًا﴾ رغم قدرته على الأخذ بحقه ومعاقبتهم، ولما بدأت الآية بأداة الشرط 'إن'، فهي لجعل حصول الجزاء بحصول الشرط في التلقي، ففي هذه الآية، كما ذكر الزمخشري، تحفيز وترغيب في الخير، رغم أن الإبداء بالخير أو إخفاءه أمر قليل الوقوع، ومما يقوي هذا الاستعمال الأفعال المضارعة (تُبْدُوا، تُخْفُوا، تَعْفُوا)، وحتى كلمة "كان" في هذه الآية تفيد الاستمرارية؛ لأنها تعود على الله، ومنها تتبين قيمة المعاني في الآية، والتي سارت على التوكيد والتعبير بالميثاق، ومثال آخر قوله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، قيل: كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفًا من الله؛ لأن الدفع لم يكن مباحًا في ذلك الوقت[1]، فهنا رفض المقتول مقابلة صنيع أخيه الفاسد بمثله، حتى لا يكون معه في السوء والخطيئة، ولكنه صبر واحتسب، وإن الشرطية أفادت معنى التوبيخ لأخيه القاتل، وإخباره أن الفعل غير جائز، ولا ينبغي أن يصدر منه وبالأخص على أخيه، ولم يأت الفعل الماضي «بسطت» المقترن بـ «أن» إلا لغرض توضيحي من السياق، وهو إظهار غير الواقع الذي يصير في المستقبل في الواقع الذي تحقق بوقوعه. وحين جاء قوله: «ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك» جوابًا بالقسم المحذوف الممهد له باللام الموطئة، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، والمعلوم أنه حين يجتمع القسم والشرط فالجواب للأسبق منهما، ولكن لإحالتها على جواب الشرط كانت في معنى الجواب له، فلو كانت جواب الشرط لاقترنت بالفاء، فقد نفى نفسه بذلك أصلًا صدور هذا الوصف؛ للمبالغة في أنه ليس من شأمه. جاء في التسهيل: «قيل معناها: لأن بدأتني بالقتال لم أبدأك به، وقيل: إن بدأتني بالقتال لم أدافعك»، ثم اختلف على هذا القول: هل تركه لدفاعه عن نفسه ورعًا وفضيلة وهو الأظهر والأشهر، وكان واجبًا عندهم ألا يدافع أحد عن نفسه[2] وفي آخر الآية جاء قوله إني أخاف الله رب العالمين فكان هذا هو السبب في منعي التفكير أو المبادرة في قتل أخيه. ومن سياق هذا القول يتبين تحرز المقتول بأن يوصف بالقاتل، وما أكد ذلك دلالة النفي بحرف الباء في قوله: ما أنا بباسط.

[1]_نفس المرجع، ج2ص225

[2]_التسهيل، ج1ص233

ونلاحظ أن "بَاسِط" اسم فاعل يدل على الاستمرارية، ويعني أنه لم ولن يبسط يده أبدًا لقتل أخيه ومثال آخر غير الذي شهدناه في الشرط قوله تعالى: [وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ] فكيف في هذه الآية الشرطية غير جازمة[1] فقد تغيرت دلالتها من الاستفهام عن الحال بفعل السياق القرآني، فأصبحت أداة شرط مثل قولك: كيف تكون أكون. والجواب في هذه الآية غير مذكور، ولكن يفهم من حيث السياق بأنه الفعل يُنفِق أي كيف يشاء إن ينفق ينفق وقيل هذه الآية الوحيدة التي احتوت على الشرط بهذا الأسلوب والأداة (كيف) في الدراسات التداولية، فإن كان أصلها أداة استفهام، فإن في هذا السياق قد تغيرت دلالتها بفعل قوة إنجازية مستلزمة والتي أثرت في معنى العبارة وحولتها من الاستفهام إلى الشرط.

2.2.معاني الجمل الإنشائية

معاني النهي: النهي هو الكف والامتناع عن فعل شيء والزجر عنه، يقول الراغب الأصفهاني: "قال تعالى ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ العلق: 9-10"، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره، وما يكون بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة 'لا تفعل'، ومن حيث اللفظ قولهم لا تفعل كذا، فإذا قيل لا تفعل كذا فنهي من حيث اللفظ والمعنى جميعاً نحو قوله تعالى ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ 2_البقرة: 35"، فالنهي قد يأتي بصيغته المضارعة المعروفة، ولكن ليس بالضرورة أن تؤدي صيغة النهي معنى النهي حقاً، فقد تتوغل معانٍ أخرى على هيئة النهي، كالدعاء مثلاً، وقوله تعالى ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ البقرة-286-، فمعنى الدعاء هنا يُستفاد منه من السياق، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ آل عمران-08-، فالمتكلم هنا هم المؤمنون والمخاطب في هذه الحالة هو الله عز وجل وهنا فيه التماس طلب وفيه رجاء، كما في قوله تعالى ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾

[1]_معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص810

[2]_مفردات ألفاظ القرآن، ص826

_سورة طه الآية 94-، فهارون عليه السلام يلتمس الرفق والعطف من أخيه موسى عليه السلام، حيث "كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل"[1]، فالحال هنا يبين أن في الآية طلب التماس وليس نهيًا، وقد يخرج من صيغة النهي دلالات أخرى كالنصح والإرشاد مثل قوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ _ سورة الحشر الآية 19-، وكقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم}، وأيضًا قوله: {لا يسخر قوم من قوم}، ويمكن أن يصدر من النهي أيضًا دلالة التوبيخ، فحال المتكلم من شأنه أن يحيل على ذلك، مثل قوله: {ولا تسرفوا}، وقوله: {ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان}_ سورة يس الآية 60-، فهنا يوبخ الله عباده بعدما نهاهم من قبل، كما أن دلالة الاستفهام تشير إلى نهيهم، ومع ذلك، فمن الناس من اتخذ من الشيطان وليًا، فهمزة الاستفهام على حسب السياق تحيل على أن المراد في هذه الآية ليس استفهامًا، وإنما التوبيخ، وقد أكد ذلك المعنى المستلزم في الآية، وقد استُنبط من السياق، فالشيطان هو عدو لنا، وقد أضل كثيرًا من الناس؛ حيث قال تعالى: [وقد أضل منكم جبلاً كثيرًا]، فالحال تنقل دلالة الآية من النهي إلى التحقير واليأس، وذلك حيث يكون المتلقي مُنهَزلاً مُزريًا مَيْؤوسًا منه لا أمل فيه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، أو قد يأتي النهي على سبيل التهديد نحو قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يعني أنه لا تنادوا النبي باسمه، وإنما عليكم أن تعزروه وتوقروه، كأن تنادوه «يا رسول الله»، وإلا فقد تصيبهم فتنة أو عذاب أليم من الله. ويمكن أن يأتي النهي في كتاب الله عز وجل بصيغ مختلفة ومتنوعة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فجعل النهي هنا على صيغة الأمر بقوله «اجتنبوه»، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾، والنهي على صيغة الشرط كقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ

[1]_التسهيل، ج2 ص25

الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والمرجفون في المدينة لَنُغْرِيَنَّكَ بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾، فنرى في هذه الآية نهياً ويصاحبه تهديد بالوعيد، ومن النهي ما يجيء على صيغة الإخبار كقوله تعالى ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾، والإثم هو إبطاء عن الخيرات. ومن هنا نستخلص أن الدلالات في أسلوب النهي قد ترد مصرحاً بها وظاهرة وقد ترد بصيغ غير صيغته المعتادة، ولكن السياق يبينها، وقد يخرج منها دلالات أخرى متضمنة في القول لا تدرك إلا باتباع سياقها وأحوالها.

معاني الاستفهام: إن الاستفهام هو "أن يطلب من غيره أن يفهمه"[1]، أي: أن تستعلم عن شيء عند المستخبر، ويتميز أسلوب الاستفهام بأدوات يختص بها (كالهمزة (أ) و 'من' 'كيف' 'متى' 'أين' وغيرها)، وأمثلة على ذلك قوله تعالى ﴿ما تلك بيمينك يا موسى﴾ وقوله ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ وقوله ﴿أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا﴾، وما يهمنا في هذا المطلب هو تلك المعاني المستخلصة من السياق، فمقاصد الآية قد تحيل إلى أشياء أخرى غير السؤال، فقد ذكرنا مسبقًا بأن المعنى في الجملة ينقسم إلى معنى صريح ومعنى ضمني، وهذا الأخير لا يدرك إلا من السياق، فعلى سبيل المثال قوله تعالى ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾، ففي الآية "إثبات وتقرير وتذكير بشرح صدر النبي صلى الله عليه وسلم واتساعه بتحصيله للعلم وتنويره بالحكمة والمعرفة"[2]، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾، فهذه الآيات إشارة إلى الإقرار بنعم الله التي سخرها لنبيه، ولا يقصد الاستفهام هنا. وفي قوله تعالى ﴿ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾، فهذه الآية تدل على عدة دلالات، منها: التعظيم، أي: استظهار عظمة الله عز وجل وقوته سبحانه وتعالى، ومنها: لأخذ العبرة من حادثة الفيل، وتذكيرهم بفضل الله وحفظه للكعبة الشريفة. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾، فهنا تعظيم وتكبير لليلة نزل فيها القرآن. ومن الدلالات التي تستفاد من الاستفهام قوله تعالى ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾؟ فـ 'هل'

[1]_مفردات ألفاظ القرآن، ص646

[2]_التسهيل، ج2ص585

هنا أداة استفهام، لكنها في هذا السياق دلت على النفي، ففي الآية قوة إنجازية مستلزمة؛ لأن فعل القول يوحي وكأنه قال: «ما جزاء الإحسان إلا الإحسان»، فهذا الاستفهام حسب السياق فيه نفي وليس طلبًا1، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾، فيبين الحال هنا إنكار أمر أو معتقد هم عليه، ومثل ذلك قوله: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾2، فهل مقترنة بالنفي على الإنكار، ويوجد أمثلة كثيرة في القرآن الكريم على هذا النحو، منها قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقد يأتي الاستفهام للتحقير مثل قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، وقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾، فالوضع يشير إلى دلالة التعجب بصيغة الاستفهام، ونحو ذلك قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تكذبان ﴾، فالعجب هنا هو أن الله عرض نعمة الجنة وما فيها من خيرات، ولكن من الإنس والجن من يكذب بها، وقوله ﴿مالي لا أرى الهدهد﴾، فقد كان الهدهد لا يغيب عن النبي سليمان عليه السلام إلا بإذنه، فتعجب من غيابه بلا إذن3. وقد يعرف الاستفهام أيضًا بصيغة الاستخبار في القرآن كقوله تعالى ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ فالقرينة اللفظية 'ويسألونك' تشير لغرض طلب معرفة شيء غير معلوم، ومثال آخر قوله تعالى ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ فالوضع يشير إلى أن قوم موسى طلبوا من الله أن يوضح لهم نوع البقرة التي سيذبحونها، ومن الاستفهام ما أريد به الأمر كقوله تعالى ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر فهل أنتم منتهون﴾، أي: 'انتهوا'، وما أكد ذلك هو تلك الكلمات التي سبقتها، ولا نستبعد المعنى الصريح في هذه العبارة، ولكن الأقرب هو الأمر، لأن الله في الأصل أمرنا باجتناب أعمال الشيطان كشرب الخمر وممارسة الميسر، فهي قد تحدث العداوة بين الناس.

---

[1]_ينظر، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1 1430هـ_2009م، ص96

[2]_معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ج3ص1141

[3]_علم المعاني، ص97

معاني الأمر: الأمر هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"[1]، أي دفع المأمور إلى القيام بشيء، بحيث يكون الآمر في أعلى درجة في المكانة والجاه، ويأتي الأمر على أربعة صيغ[2]: فعل أمر نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، وفعل مضارع مقترن بلام الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾، وقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، واسم فعل الأمر 'عليكم'، وهو اسم بمعنى 'الزموا' نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، والمصدر النائب عن الفعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، أي: أحسنوا إلى الوالدين، ونحو قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾. إلا أن هذه الصيغ قد تخرج عن معانيها الصريحة لتتحول إلى معانٍ مضمرة يحددها السياق، فحال المتكلم أو المخاطب قد يحملان سمات، والتي من شأنها أن تضيف أو تبدل في دلالة الأمر، ولا ننسى الموقف والأحوال والظروف المحيطة بالكلام، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾، فهنا حال المتكلمين تشير إلى أنهم في موقف محرج، وبالتالي فهم لا يأمرون وإنما يلتمسون الرجاء والشفقة على حالهم، فطلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا الله بتخفيف العذاب، وهذا محال، ومنه انتقلت الدلالة إلى نوع من الرجاء، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾.

ومن الدلالات التي رصدناها في كتاب الله بصيغة الأمر التماس الصفح والسماح والعفو، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾. قال الكلبي: "أي: اكتمه ولا تحدث به، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته"[3]. ومن دلالات الأمر قد يأتي على صيغة الخبر، كقوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾، فالقائل هو الله سبحانه وتعالى، ومنه

[1]_علم المعاني، ص75

[2]_ينظر، نفس المرجع ص 75-76

[3]_التسهيل، ج1 ص414

فهو حكم شرعي لا بد من اتباعه. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾، أي: "فرض". وهذا أمر إلهي، ومن آيات الله التي نلتمس فيها دلالة غير الأمر، قوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾، فهنا الغرض من قوله الدعاء، وقوله: ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، أي: 'عظ الناس بالتي هي أحسن'، وهنا دعوة للإرشاد والنصح، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾، ومن الأمر ما يحيل إلى الإهانة والتحقير كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ فبحسب نظرية أفعال الكلام، فإن الفعل 'ذق' قد اكتسب قوة إنجازية لفعل أدائي، وقد أعطى بذلك للجملة قيمة عظيمة، نظرًا لأثرها البليغ في سياق الآية، فالمقام يشير إلى التذوق من شجرة الزقوم وهي شجرة في جهنم، ونلاحظ أن معاني التوبيخ جاءت على صيغة الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، فالفعل 'ذوقوا' يدل من حيث السياق على التوبيخ، وفيه أيضًا إهانة وتحقير. وعليه، فإن هذه الدلالات إنما استُفيدت منها من وجوه السياقات التي أظهرتها، وقد تُستنبط منها دلالات أخرى كثيرة من الأمر تختلف وتتغير بتغير السياقات والأغراض الكلامية للمتكلمين.

3.2.وقوع الخبر موقع الإنشاء ووقوع الإنشاء موقع الخبر

هناك نوع خاص من الجمل، وهي جمل خرجت عن دلالاتها من حيث الصيغ إلى أغراض مغايرة تمامًا لفحواها، وقد تناولها الباحثون اللسانيون المعاصرون في دراساتهم، وأطلقوا عليها بـ 'الاستراتيجيات غير المباشرة' [1] في نقل الكلام، فمن التعابير ما تأتي على صيغة الإخبار، ولكن المراد منها هو معنى على سبيل الإنشاء، ونجد العكس في ذلك، وهذا نوع من الأساليب ينبغي للمتلقي أن يتمتع بمستوى عالٍ بما يسمى بـ 'الكفاءة التداولية'[2]، ويقصد بها مجموعة من الملكات (لغوية، معرفية، إدراكية... إلخ) تساعده في بلوغ

[1] _وتسمى أيضا بالاستراتيجيات التلميحية وهي نوع من الاستراتيجيات الخطابية، تتسم بالتضمين في الأقوال والخطابات والتي تستدعي من المتلقي أن يؤولها باللجوء إلى قرينة حالية، ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت ط1 2004م، ص368

[2] _هي مجموعة من القدرات من جوانب عدة تسمى بالملكات، وهي تنتمي لما أطلق عليها بالقوالب، فينبغي للمتلقي أن يتملكها قبل ولوجه إلى تأويل الخطابات وفهم مقاصدها، ينظر أكثر في نفس المرجع، ص57-58

الأغراض الحقيقية للتعابير الكلامية من هذا النوع من الأساليب. وفي كتاب الله آيات تنطوي على هذه الأساليب، ونحاول في هذا المطلب عرض مجموعة من النماذج، والمثال الأول في قوله تعالى ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾، فنرى في الآية دعاء، وذلك حين قال (يغفر لكم وهو أرحم الراحمين)، والنبي يوسف عليه السلام هو الذي دعا ربه ليغفر لإخوته، وقد أجاز الزمخشري أن تدعو بالمضارع على لفظ الماضي، فقال: "(يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم، يقال: غفر الله لك، ويغفر الله لك، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً"[1]، كما رأينا في قول المشمت 'يهديكم الله ويصلح بالكم'، والفعل المضارع (يغفر) يندرج ضمن الأفعال الأدائية ذات القوة الإنجازية المؤثرة، فهو أدى وظيفة الإنجاز والتوجيه على أتم وجه، ولأن قول (اغفر لي) على الأمر ليس بنفس قوة (يغفر)، ففي الأمر أريد به طلب مقبول لدى المخاطب، أما في المضارع فقد أريد به إنجاز فعل، وهذا يقدم الفعل قيمة عظيمة للفعل الذي ينجز، خصوصاً إذا كان الكلام صادراً عن متكلم يحظى بمقام رفيع مثل النبي يوسف عليه السلام، كما أن سياق القرآن يظهر أن حال إخوة يوسف عليه السلام ترجو المغفرة والتوبة على ذنوبهم، و لثقة يوسف بربه وعلمه بأن دعاءه مستجاب و لا يرد، و كذلك إدراكه بندم إخوته على أخطائهم و إصرارهم على التوبة. وهكذا يمكن القول بأنه قد جرى الإنشاء على وقع الخبر. ومثال آخر قوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ البقرة-233-، في الآية حكم شرعي، ومنه نستخلص دلالة الأمر، فـ "يرضعن" مثل "يتربصن" في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد، فإن قلت: ما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن؟ قلت: إما أن يكون أمرًا على وجه الندب، وإما وجه الوجوب، إذا لم يقبل الصبي إلا (صدر أمه)"[2]، ومنه فالحال يثبت المعنى الإنشائي الطلبي على دلالة الأمر.

ومثال آخر قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين في سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ التوبة-60-، في الآية بدرجة أقوى،

[1]_الكشاف، ج3 ص322.

[2]_نفس المرجع السابق، ج1 ص455

فالأداة (إنما) تتكون من أداة التوكيد (إن) و (ما) المصدرية، وهي في الآية أفادت الحصر، فالآية تنص على فرض الصدقات فقط على فئة من الناس وهم كما ذكرهم الله (الفقراء والمساكين والعاملين عليها...الخ)، ورغم هذا التوكيد، فإن القرينة اللفظية (فريضة) تشير إلى الأمر بشيء، وبالتالي معنى الآية فيها إنشاء وإن كان على صيغة الخبر، ولعل السبب الذي جاءت به الآية على الإخبار هو للدلالة على الثبات والاستمرارية، أي أن هذه الصدقات محصورة على الفقراء والمساكين في كل وقت وحين. ومثال آخر عكس الأمثلة السابقة، قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ هود -44-، في الآية العظيمة سرد وحكاية وإخبار عن أحداث ووقائع شهدها قوم النبي نوح عليه السلام، وهي من المعجزات، والأصل في المنادى أن يكون للعاقل حتى يحقق في إسماعه الإفادة، ولكن في الآية جرى النداء على غير العاقل، وكان هذا لغرض بلاغي، ونرى بأنه إشارة على بروز دلالة إخبارية في الآية، فكأنما يقال: 'وبلعت الأرض ماءها (أي: شربته)، وتوقف المطر عن الهطول، أما السبب في مجيء الخبر على صيغة الإنشاء هو للدلالة على التهويل والتعظيم وتبيان قدرة الله عز وجل، حيث قال الزمخشري: "نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز (نداء الأرض بما ينادى به العاقل) على لفظ التخصيص والإقبال" عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله: "يا أرض"، "يا سماء"، ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله: "ابلعي ماءك، وأقلعي"، من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنهما عقلاء مميزون، وقد عرفوا عظمته، وجلاله، وثوابه، وعقابه، وقدرته على كل مقدور[1]، ولعل السبب أيضًا في مجيء الخبر على صيغة الإنشاء هو أن الله أراد بذلك أنه هو الذي فعل ذلك بأمر منه، وذلك لقوله ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ يس-82-.

[1]_نفس المرجع السابق، ج3 ص202-203

ومن خلال هذه الأمثلة، يتبين لنا أن في القرآن الكريم آيات جاءت على هيئة الإخبار وهي في المعنى إنشاء، وكذلك رأينا العكس، وكما قلنا في بداية هذا المطلب هو أن إدراك هذه الدلالات من هذه الأساليب ينبغي أن تتوفر للقارئ أو المتلقي مجموعة من المهارات والقدرات التي تخوله في الخوض في مسائل مثل هذه.

3. أثر السياق في تحديد معاني الحذف في القرآن الكريم

1.3.دلالة حذف الأدوات

حذف (واو) العطف: جاء في البرهان قول أبي بكر ابن السراج: «حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله، ألا ترى إذا قلت: 'ما قام زيد'، فقد نابت 'ما' عن 'أنفي'، كما نابت 'إلا' عن أستثني، وكما نابت 'الهمزة' و 'هل' عن 'أستفهم'، وكما نابت حروف العطف عن 'أعطف' ونحو ذلك، فلو ذهبت تحذف الحرف لكان ذلك اختصارًا، واختصار مختصر إجحاف به، إلا إذا صح التوجه إليه وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه[1]»، وعليه فالواو العاطفة لما تقصينا آيات الله وجدناها غير مذكورة في مواضع مختلفة، منها قوله تعالى ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ يس-15-، وحذف الواو كان بين 'من شيء' و 'إن أنتم'، فالأصل يقال: 'وإن أنتم إلا تكذبون'، وقيل: «(إن) هنا تفيد النفي، أي: 'ما أنتم إلا تكذبون»[2]، وما يدل على حذف هذا الحرف هو ورود النفي من بداية الآية، وبحسب السياق فقد جاء النفي متسلسلاً ومترابطًا، وقد جاء الحذف ليتحول الكلام من التحجج إلى الحكم، وقد استدل أصحاب القرية بشيئين وهما: "الأول، وهو أن رسل الله ليسوا سوى بشر مثلهم، والثاني أن الرحمن لم ينزل شيئاً يثبت نبوتهم، وبالتالي حكموا عليهم بالكذب". وهذا يذكرنا بنظرية الحجاج، والتي تنص على إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج المستنتجة منها، ويعني هذا أنه إذا كان رسولهم بشراً مثلنا، وأن الرحمن لم ينزل أي شيء يثبت نبوتهم، فهم يكذبون.

---

[1] _البرهان، ص755

[2] _التفسير الكبير، ج26 ص52

وفي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران-118-، والتقدير هو: 'ولا يألونكم خبالاً'1، والخبال يعني الفساد وقد حُذفت الواو حتى يفيد السياق أن الكلام كله في الآية يدور حول نهي واحد.

وفي قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ القصص-79-، فحُذفت الواو قبل القول، والسبب ليثبت أن الفساد منه، أي من قول هؤلاء حيث إن في كلامهم حسد، فقد قيل إن القائلين كانوا قومًا كافرين2، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾. وفي مثال آخر قوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ التوبة-92-، والتقدير: 'وقلت' ، وسبب حذفها هو إبلاغ الحال الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع وليس القائل ، فجواب الشرط في 'إذا' هو 'تولوا' وليس 'قلت' - حسب رأي بعض العلماء3 - ، ومنه فالجملة 'قلت لا أجد' معطوفة بحذف حرف العطف الواو على ما أتوك ، وكان سبب الحذف هنا عناية بالمقام وأحوال الشاهدين ، وهذا بارز في معظم آيات الله سبحانه وتعالى.

حذف حرف النداء (يا): إن حذف أداة النداء (يا) في القرآن الكريم أمر وارد بكثرة، خصوصًا حين يتعلق النداء برب العالمين، وإن الحكمة من ذلك الحذف هي الدلالة على التعظيم والتنزيه، لأن النداء "يتشرب" معنى الأمر، ولأنك إذا قلت: 'يا زيد' فمعناه (أدعوك يا زيد)، فحذفت (يا) من نداء الرب، ليزول معنى الأمر ويتمحض التعظيم والإجلال4، وكذلك تحذف مع كلمة (الله) أو (الرب) نظرًا لقرب

[1]_البرهان، ص755

[2]_الكشاف، ج4ص525

[3]_البرهان، ص756

[4]_ينظر، الإتقان، ج3 ص189

المنادى، حيث قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾، ولهذا جاء الحذف مثل قوله تعالى ﴿ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم﴾ البقرة، وقوله ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ البقرة-286-، ومن مواضع الحذف قوله تعالى ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾، والتقدير: 'يا يوسف'، وبحسب السياق فقد كان العزيز يلتمس الصفح والكتمان عن الخيانة من امرأته والأحداث التي جرت في القصر، وذلك بعدما أيقن ببراءة النبي يوسف عليه السلام وثبوت إدانة امرأته ومحاولة تلفيق التهمة به، ونص الآية يشير إلى أنه كان محسناً لما ذكر ﴿واستغفري لذنبك﴾، فجرى الموقف وكأنه يهمس في أذنه دليلاً على قربه، فقد قيل إن (يا) تستعمل للبعيد ويجوز أن تكون للقريب إذا كان من وراء النداء رغبة في شيء لطيف، كالصفح والعفو مثل ما شهدناه في الآية، ومن مواضع حذف أداة النداء قوله تعالى ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾، فنرى أن الأداة (يا) قد حذفت في الآية والتقدير: 'يا أيها'، يدور في هذه الآية دلالات كالتوبيخ واللوم، فسياق الآية يشير إلى أنه انفرد الله بالمجرمين، وجعل يوبخهم على اتباعهم للشيطان وفعل أفعاله كالجرم، وسبب الحذف كان عكس الآية السابقة، لأن النداء هنا ينطوي على يوم الوعيد، وفيه تعجيل وتسريع في الحساب، وقال تعالى ﴿والله سريع الحساب﴾، فالحال على هذه لن تكون فيه إطالة في الكلام أيضًا، ولضيق الأحوال قد يوحي إلى الرغبة في إنهاء الكلام بسرعة، ومثل ذلك قوله ﴿يوسف أيها الصديق﴾، أو ربما الرغبة في الانتقال إلى حديث آخر مهم، وعليه فليس للمتكلم حاجة إلى ذكرها، كما يمكن للسياق أن يبين للقارئ أن الوضع في الكلام يشير إلى النداء، فقرينة الحال قد تنوب عما يريد المتكلم قوله فلا يقوله.

ج) حذف أداة الجر(في): يعد الحرف (في) من حروف الجر التي تفيد غالبًا "الظرفية سواء الزمانية أو المكانية"[1]، وقد جرى ذكره في مواضع وحذف في مواضع أخرى، مثل ذلك قوله تعالى ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ الأنعام-165-، ولم يذكر (في) بينما ذكر في قوله ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ فاطر-39-، وذكر أيضًا في قوله ﴿ثم جعلكم خلائف في

[1]_ينظر، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، ص751

الأرض﴾ يونس-14-، والسبب في ذلك يتبين من تتبع الآيات، بحيث أنه لما كانت (في) ظرفية زمانية أو مكانية، فهي محددة أو مؤقتة، ففي سورة فاطر جعل الله الناس خلفاء في الأرض ما داموا مؤمنين فإذا ما كفروا سُلبت منهم الخلافة، ولا يختلف الأمر في الآية 14 من سورة يونس الذي ذكر في ما قبلها هلاك من كفر، إذن فالخطاب هنا موجه لعامة الناس، أما في سورة الأنعام فالخطاب موجه للمؤمنين، فحسب السياق الذي يدور حول الهداية والصلاة والإيمان بالله، كانت الغاية من حذف الحرف (في) ليست البداية ولا النهاية، وإنما من حيث الاستحقاق، فالمؤمنون بالله أحق بالخلافة عن غيرهم.

ومن مواضع حذف الحرف (في) قوله تعالى ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾، أي: 'في مكانه' وقد حذفت للتخفيف، وسبب آخر حسب السياق هو أن الجبل لم ولن يستقر أبدًا، لا في ذلك الوقت الذي جاء فيه موسى لميقات ربه وكلمه ربه، ولا في أي زمن آخر، فمقام نزول الله سبحانه وتعالى لا يتغير ولا يتأثر أبدًا مهما طال الزمن وجارت الأحداث.

2.3.دلالة حذف الأفعال

حذف الفعل الماضي: جاء في القرآن الكريم حذف فعل الماضي مثل ذلك قوله تعالى ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾، في الآية الكريمة فعل ماض محذوف والتقدير: 'قلنا' وسبب حذف الفعل تكبيرًا بقيمة العطاء حيث سخر الله التمكين لتأديب الشياطين وكفهم عن الفساد، قال الكلبي: "إشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى أن الله قال له 'أعط من شئت وامنع عمن شئت'، وقيل المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود، أو أمسك من شئت منهم بالقيود"[1]. وفي قوله تعالى ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا﴾، والفعل المحذوف هو 'أنزل' فالسياق دل عليه مثل قوله ﴿فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ البقرة-243-، ويقول الزركشي: "فقوله 'ثم أحياهم' معطوف على فعل محذوف تقديره 'فماتوا ثم أحياهم'، ولا يصح عطف قوله 'ثم أحياهم' على قوله 'موتوا" لأنه فعل أمر، والأمر لا يعطف على

[1]_التسهيل، ج2 ص256

الماضي1، وفي قوله تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾، وقد حذف الفعل 'اختلفوا'؛ لأن البعث كان بعد الاختلاف، والسياق يدل على ذلك؛ لما قال 'ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه'، وقيل: إن 'اختلفوا' محذوفة بعد بعث الله النبيين؛ لأنهم كانوا كفارًا فاختلفوا لما بعث الأنبياء2، وقوله تعالى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ البقرة-73-، والتقدير: 'فاضربوه فضربوه ببعضها'، فالميت قد أحيي لما ضرب بها، وذلك حين قال (كذلك يحيي الله الموتى)، وقوله تعالى ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ البقرة-138-، أي: 'صبغنا'، وهو فعل مقدر للمصدر المؤكد، قال الزمخشري: "صبغة الله مصدر مؤكد منتصب على قوله 'آمنا بالله'، كما انتصب 'وعد الله' عما تقدمه، وهي (فِعْلة) من صبغ، كالجِلسة من جلس، وهي الحال التي يقع عليها الصبغ، والمعنى 'تطهير الله'؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون هو تطهير له، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك، قال: الآن صار نصرانيًا حقًا، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا"3.

حذف الفعل المضارع: لا يختلف المحذوف في الفعل المضارع عن الفعل الماضي، ففي آيات الله مواضع حذف فيها الفعل المضارع، ودليله يكون عبارة عن قرائن لفظية أو معنوية تحيل عليه، ومن جملة الأمثلة التي نذكرها في هذا السياق منها قوله تعالى ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾، ويقصد بالعفو هنا هو "أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه من الجهد واستفراغ الوسع"4، ومنه الفعل المحذوف هو 'ينفقون' وهذا الحذف جائز، إذ حسب السياق المستعمل، يمكن فيه إظهاره فلا يؤثر ظهوره على صحة المعنى، وما حذف إلا لوجود قرينة نابت عنه في المجيء، وفي قوله ﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم

[1]_البرهان، ص752

[2]_ينظر نفس المرجع السابق، ص752

[3]_الكشاف ج1 335

[4]_الكشاف، ج1 ص429

حنيفا وما كان من المشركين﴾ البقرة-135-، ف'ملة' هنا على النصب هي مفعول به لفعل محذوف تقديره 'نتبع'1، وقد قدرنا الفعل بهذا نظرًا لتواجده في موطن آخر على نفس السياق في قوله تعالى ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ آل عمران-95-، ولعل سبب الحذف يعود لاختصار الكلام وللإيجاز، وكذلك حذف إشارة للعناية بالمقام، وقد رأينا سابقًا أن علماء التفسير جعلوا من بعض الآيات شاهدة على آيات أخرى، واتخذوها دليلًا في استقرائهم لكلام الله ومقاصد آياته، وفي قوله ﴿قل من يرزقكم من في السماوات والأرض قل الله وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال﴾ سبأ-24-، في هذه الآية حذف للفعل المضارع قبل لفظ الجلالة (الله) وتقديره 'يرزقكم'، وقد دل عليه الفعل 'يرزقكم' بعد أداة الاستفهام 'من' والاستفهام هنا يفيد التقرير، فالخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه أمر بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله 'يرزقكم الله'، وذلك لإشعارهم أنهم مقرون في قلوبهم2، لكن الشرك والعناد دفعهم لعدم التصريح بذلك ومنه سبب حذف الفعل هو الاحتراز من ذكر ما هو مذكور سلفًا. وفي الحديث عن البسملة، فيرى جمهور من العلماء أنها تنطوي على اسم محذوف يقدر بـ 'ابتدائي'، وجمهور آخر يقدرونه بفعل محذوف تقديره 'أبتدئ' أو 'أقرأ'، والراجح حسب السياق استعمال فعل من أفعال الشروع كـ 'أشرع' أو 'أبدأ'، لأن القارئ في حالة بداية القراءة للسورة، ومنهم من أخر الفعل أي: 'بسم الله' أهم من الفعل فكان أولى بالتقديم3، وقوله تعالى ﴿قل لا تقسموا طاعة معروفة﴾، ويقدر الزركشي الفعل المحذوف بـ 'ليكن منكم طاعة معروفة'4، فالفعل مرفوق بلام الأمر وذلك لأن سياق الآية فيه أمر، إذ أمركم، والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب5. وكانت هذه أمثلة حول حذف الفعل المضارع.

---

[1]_البرهان، ص749

[2]_الكشاف، ج5 ص120

[3]_البرهان، ص749

[4]_نفس المرجع السابق، ص752

[5]_الكشاف، ج4 ص316

ج) حذف فعل الأمر: قد يحذف فعل الأمر لدوافع تتعلق بالمقام، إذ نجد أحوال المخاطبين تغري المتكلم على الاستغناء عنه، كما هو الحال في أساليب الإغراء والتحذير، فتنبيه المخاطب على شيء محمود أو مذموم هو في الأصل أمر بلزوم ذلك الشيء، فيكون ذكره دون الحاجة إلى ذكر فعل الأمر، وإنما يتولى السياق في إدراك الغرض المقصود، ومنه نجد أمثلة واردة في آيات الله، منها قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم-30، في الآية نوع من الإغراء نجده في كلمة 'فطرة'، وهي منصوبة بفعل أمر محذوف تقديره 'الزم'، أي 'الزم الفطرة التي فطر الله الناس عليها'، يقول الزمخشري: "(فطرة الله) أي: 'الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله'، وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله "منيبين إليه" و"منيبين"1 حال من الضمير في "الزم"، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، فـ"عليكم" بمعنى "الزموا أنفسكم"، وهنا في الخطاب تحذير من الله للمؤمنين من أنفسهم ومن الذين ضلوا، وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ الحج-78-، فـ"ملة" منصوبة بفعل إغراء محذوف تقديره "الزموا" أو "اتبعوا"، جاء في التسهيل: "انتصب "ملة" بفعل مضمر تقديره "أعني بالدين ملة إبراهيم" أو "التزموا ملة إبراهيم"2، وسياق الآية فيه إشارة إلى أمر المسلمين بالتزام اتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آل عمران-35-، والتقدير: فعل أمر محذوف في أول الآية وهو 'اذكر'، يقول ابن عاشور: "تقدم القول في موقع 'إذ'، وفي أمثال هذا المقام عند تفسير قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ البقرة، وموقعها هنا أظهر في أنها غير متعلقة بعامل، فهي لمجرد الاهتمام بالخبر، ولذا قال أبو عبيدة: 'إذ' هنا زائدة، ويجوز أن تتعلق ب'اذكر'

[1]_الكشاف، ج4 ص577

[2]_التسهيل، ج2 ص105

محذوفا"[1]، وتقدير هذا الفعل في هذه الآية بسبب وروده في قوله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ مريم، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ أي: 'واذكر'، فقد دل عليه العقل حسب رأي الزركشي"[2].

وإن من فعل الأمر ما يقام مقامه ما يدل عليه إذا كان محذوفا كقوله تعالى ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾ فاطر-04-، ويقدر الزركشي القول: 'فلا تحزن واصبر'[3]، وفي قوله تعالى ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾ طه-22-، يقصد بالجناح الجنب تحت الإبط[4]، وفي الآية حذف نجده في آخر الآية يقدره الزمخشري بـ "(خذ) وقد حذف لأنه متعلق بما بعده (لنريك) الذي دل عليه[5]، ونلاحظ في الآية فعل أمر محذوف يدل عليه العقل وهو 'أخرجها تخرج بيضاء' قال قطب الأئمة الشيخ أطفيش: "تخرج" مجزوم في جواب "اضمم" لأن من شأن الإدخال والإنساق الإخراج بعد، أو حذف من كل واحد ما يناسبه على الاحتباك، أي: "اضمم يدك تنضم" و"أخرجها تخرج بيضاء (ها شعاع كشعاع الشمس)"[6]، ونرى أن سبب الحذف هو لا حاجة لتكرار الفعل فحال المشاهدة من شأنها أن تغني عنه، وفي قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) ﴾ الشمس-13-، فنلاحظ في الآية حسب السياق أن قول الرسول المرسل إلى قوم ثمود وهو "صالح" فيه تحذير، ومن هنا نستخلص فعل أمر محذوف تقديره: "احذروا"، وما دل عليه الآية التي بعدها في قوله ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، ويمكن تقديره بـ"ذروا" أي "ذروا الناقة وسقياها"[7]، وكان الغرض من الحذف للاختصار وذكر الأهم بسرعة. ومنه

[1]_تفسير التحرير والتنوير، ج3 ص232

[2]_البرهان، ص753

[3]_نفس المرجع السابق، ص755

[4]_التسهيل، ج2 ص17

[5]_الكشاف، ج4ص77

[6]_الشيخ يوسف أطفيش، تيسير التفسير، تح: ابراهيم بن محمد، سلطنة عمان، ط2 1439هـ_2018م، ج9 ص144.

[7]_الكشاف، ج6 ص384

ساهم السياق في كشف المحذوف من أفعال الأمر، من حيث تتبع القرائن اللفظية والمعنوية، ومنها أخرى حالية وعقلية.

خاتمة

تغلغلت فكرة السياق في مجالات عديدة، فقد أسهم في ترجيح المحتمل وكشف المجمل، وصحيح أن العلماء العرب كانوا سباقين في الاعتماد على السياق، لكن الباحثين اللسانيين المحدثين أيضا اعتنوا به، حيث جعلوا النص يسير في سياق واحد، وميزوا بين دلالة الكلمة المعزولة وبين الكلمة المقترنة مع أخواتها داخل التركيب، وهذه من خصوصيات السياق.

إن السياق عند كل من العلماء العرب واللسانيين يقام على عدة فروع سياقية تسهم في الإبانة عن المعاني، وهذه الفروع هي مجموعة من العناصر العاملة في تحديد دلالة الألفاظ في الكلام، منها لغوية أو كما عرفناها سابقا بالمقالية، ومنها غير لغوية أو الحالية، مثل المواقف، أو الأحوال النفسية والاجتماعية والثقافية وحتى العاطفية.

ومن خلال الموضوع الذي بحثنا فيه، فقد تحصلنا على مجموعة من النتائج والفوائد نوجزها كالآتي:

- ❖ اهتم العلماء الأوائل بتفسير القول في تبيان السياق بنوعيه المقالي والحالي، وتوضيح دلالية النصوص، والنظر في مقام المعنى من خلال تأثير الجوانب الدلالية للسياق.
- ❖ تأكيد العلماء قدماء ومحدثون على أهمية السياق باعتباره من أبرز العناصر التي تساهم في إنتاج المعاني، وتحقيق التواصل الحقيقي بالتمام.
- ❖ يظهر اتفاق معظم العلماء (قدماء ومحدثون) على ضرورة الاعتماد على السياق بجميع خصائصه في تحليل النصوص والجمل، وذلك من خلال القرائن المساهمة فيه، إلا أن البحث العربي القديم كان دقيقا ومفصلا.
- ❖ كشفت الدراسة على أهمية سياق الحال، (أي بالرجوع إلى ظروف المشاركين في الكلام سواء متكلمين، أو سامعين، أو الحاضرين)، ودوره الفعال في تحقيق التواصل السليم.
- ❖ للسياق ضوابط وأحكام ينبغي للمتدبر في آيات الذكر الحكيم أن يتبناها قبل الخوض فيها.
- ❖ قامت الدراسات اللغوية الحديثة بصياغة نظرية متكاملة للسياق، وحددت فيها القواعد التي يرتكز عليها في تحليل الجمل والنصوص والخطابات.

- ❖ يعد السياق أهم عامل في الدراسات التداولية بجميع محاورها.
- ❖ للسياق أثر كبير في توجيه دلالة الأدوات والكلمات والجمل، فهو يضفي على الدلالة الحرفية المباشرة دلالة أخرى ضمنية وهي غير مباشرة.
- ❖ ضرورة تناول النص ككل دون تجزئته وتحليله ومحاولة كشف دلالاته، كما ينبغي وصل كل كلمة منه بالظروف والأحوال المحيطة بها، وهذا ما أكد عليه الباحثون المحدثون، ولم يغفل العلماء الأوائل عن هذا الأمر.
- ❖ ومنه فالكلمات والعبارات في القرآن الكريم تتميز بالسلاسة والمرونة، فلا ينبغي تجريدها من سياقاتها.
- ❖ يعتبر أسباب النزول خاصية من خصائص سياق الحال.
- ❖ إن الفهم التام والصحيح للآيات في كتاب الله يعتمد على التلازم بين ألفاظها ومقاماتها، أو كما نص البلاغيون مسبقا "لكل مقام مقال".
- ❖ يهتم السياق بكشف دلالات الألفاظ على كافة الأصعدة، سواء على مستوى الكلمة الواحدة، أو الجملة، أو عدة جمل، أو النص ككل.
- ❖ وإذا كانت سمات السياق قابلة للتقسيم، ولما كان المتكلم يستطيع اللجوء إلى أحد تلك السمات في القيام بحدث كلامي، فإن المتلقي أيضا بمقدوره الاستعانة ببعضها في تأويل الأحداث الكلامية.
- ❖ لا يخفى على أحد ذي علم تميز القرآن الكريم بخاصية الإعجاز، فهو كلام تام بلغة فريدة ذات دلالات حرة ومطلقة، وهي تختلف وتتعدد حسب المقاصد والأغراض، وكلما تعمقنا في ألفاظه وطريقة ائتلافها إلا وتبينت معاني أخرى متجددة، ومنه فإن آلية السياق في اكتشافها كانت من أنبل الطرق التي تناولها العلماء الأوائل في مؤلفاتهم.

وللعلم، إن المواضيع التي تتعلق بالسياق، خاصة في الجانب التطبيقي شاسعة ومتنوعة، ولم يكفنا الوقت لذكرها كلها ومناقشتها، كما وجدنا وجهات نظر لم يسعنا الحال للإشارة إليها.

وفي الختام، لا يخلو بحث من العيوب والنواقص، ولكن ما يهنو النظر في موضوع السياق هو أننا مهما توغلنا في شعبه وفروعه، فإننا بذلك نعود إلى جهود الدرس العربي القديم، والذي يختصر لنا فكرة السياق في العوامل الداخلية (اللغوية) والعوامل الخارجية (غير اللغوية).

فنسأل الله أن يغفر لنا، وأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ونعوذ به من زلات القلم.

كما أسأل الله العظيم، رب العرش المجيد، أن يأتينا رحمة من عنده وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وصلى الله وسلم على نبينا الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية التراثية:

-ابن الجوزي ،نزهة أعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ،تح: كاظم الراضي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط3 1407 ه -1987م.

-ابن القيم ،بدائع الفوائد ،تح :علي بن محمد العمران ،دار عالم الفوائد.

-ابن بطال ،شرح صحيح البخاري ،تع :ياسر ابن ابراهيم ،مكتبة الرشد الرياض.

-ابن جرير الطبري ،جامع البيان عن تأويل القرآن ،تح: محمود شاكر ،مكتبة ابن تيمية ،القاهرة ،ط2

-ابن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ،دار التونسية للنشر ،تونس 1984 م

-ابن قاسم المرادي ،الجني الداني في حروف المعاني ،تح :فخر الدين قباوة ،دار الكتب العلمية بيروت ،ط1 1413ه 1992 م

-ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،دار ابن حزم ،ط1 1420ه -2000م.

-ابن منظور لسان العرب ،دار المعارف كورنيش الليل القاهرة 1119 ،ط1

ابن هشام الأنصاري ،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،تح: مازن المبارك –حمد الله ،دار الفكر ،دمشق ،1364ه -1964 م

-أبو الفتح ابن جني ،الخصائص ،تح: محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية.

-أحمد الكلبي ،التسهيل ،ضبطه وصححه محمد سالم الهاشم ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 1412ه -1995م

-الإمام السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ،من إصدارات المملكة العربية السعودية.

-الإمام السيوطي ،تناسق الدرر في تناسب السور ،تح :عبد القادر أحمد عطا ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط1 ،1406ه 1986م

-الإمام الشاطبي ،الموافقات في أصول الشريعة ،المكتبة التجارية الكبرى ،مصر ،مطبعة الرحمانية.

-الإمام الشافعي ،الرسالة ،دار ابن الجوزي ،ط2 1443هـ.

-الإمام الشوكاني ،إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول ،تح :تامي أبي حفص ،دار الفضيلة ،الرياض ،ط1 1421هـ -2000م.

-التفسير الوسيط ،من تأليف لجنة من العلماء ،مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ،ط3 1413 هـ -1992م

-الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح :عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي القاهرة ،ط7 1418هـ - 1998م

-الجوهري ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،مرا :محمد محمد تامر ،دار الحديث ،القاهرة ،1430هـ ،2009م

-الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ،تح :صفوان عدنان داوودي ،دار القلم دمشق ودار الشامية بيروت ،ط4 1430هـ -2009م

-الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،تح :أحمد علي ،دار الحديث القاهرة ،1427هـ -2006م.

-الزمخشري ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،تح :عادل أحمد الموجود ،علي محمد عوض ،مكتبة القبيكان ،الرياض ،ط1 1418هـ -1998 م.

-السرخسي ،أصول السرخسي ،تح : أبو الوفا العلواني ،دار الكتاب العربي ،طبعه رضوان محمد رضوان ،1372هـ.

-السكاكي ،مفتاح العلوم ،تع :نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1 1403هـ - 1987م

-الشيخ يوسف أطفيش ،تيسير التفسير ،تح: ابراهيم بن محمد ،سلطنة عمان ،ط2 1439هـ - 2018م.

-الغزالي ،المستصفى من علم الأصول ،تح : أحمد زكي ،دار الميمان ،الرياض ،ط1.

-الفراء ،معاني القرآن ،تح :محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ط1 1374ه - 1955م.

-الفيروز آبادي ،بصائر التنوير لطائف الكتاب العزيز ،تح :محمد علي النجار ،القاهرة ،1422ه ،1992م

-القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة ،دار الكتب العلمية ،بيروت ط1 1424ه -2003 م

-سعد الدين التفتازاني ،شروح التلخيص ،نشر أدب الحوره.

-سيبويه ،الكتاب ،تح: عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط3 1408ه -1988م.

-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،مطبعة السعادة مصر ،منقول من نسخة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي.

-عز الدين عبد السلام ،فوائد في مشكل القرآن ،دار الشروق ،جدة ،ط1 1387ه -1967م ،ط2 1402ه -1982م.

-فخر الدين الرازي ،التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ،دار الفكر ،ط1 1981م

-فخر الدين الرازي ،المحصول في علم أصول الفقه ،تح : جابر فياض العلواني ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،ط3 1418ه-1997م.

-محمد الزرقاني ،مناهل العرفان في علوم القرآن ،تح :فواز أحمد زمرلي ،دار الكتاب العربي ،ط1 1415ه -1995م.

-محمد حسن الشريف ،معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ،مؤسسة الرسالة بيروت ،ط1 1417ه -1996م

المراجع العربية الحديثة:

أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج ،العمدة في الطبع ،منتديات سور الأزبكية ،ط1 ،1426ه-2006م.

أحمد عمر المختار ،علم الدلالة ،عالم الكتب القاهرة ،ط1 1958م ،ط2 1988م ،ط3 1991 ،ط4 1993م ،ط5 1998م.

أساليب المدح والذم في القرآن ،جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية.

خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،من الحكمة للنشر والتوزيع ،ط1 2009 م.

د .تمام حسان ،اللغة العربية معناها ومبناها ،دار الثقافة ،المغرب ،ط 1994

سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص ،مكتبة لبنان ،الشركة المصرية العالمية للنشر ،ط1 1997م.

طه عبد الرحمن ،التواصل والحجاج ،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

عبد الحكيم ابن عبد الله القاسم ،دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير ،دراسة نظرية تطبيقية ،دار الترمذية الرياض.

عبد العزيز عتيق ،علم المعاني ،دار النهضة العربية بيروت لبنان ،ط1 1430هـ -2009م.

عبد القادر سلامي ،علم الدلالة في المعجم العربي ،دار ابن بطوطا ،عمان ،ط1 2007م.

عبد القادر غزالي ،اللسانيات ونظريات التواصل ،دار الحوار ،ط1 2003م

عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد ،بيروت ،ط1 2004م.

محمد العبد ،النص والخطاب والاتصال ،الناشر :الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ،القاهرة ،مصر .

محمد خطابي ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ،ط1 1991م.

محمود أحمد نحلة ،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،دار المعرفة الجامعية ،2002 م.

محمود أحمد نحلة ،علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي ،ملتقى الفكر ،كلية الآداب ،جامعة الاسكندرية ،ط2 1442هـ -2001م.

محمود السعران ،علم اللغة ،دار النهضة العربية بيروت.

مسعود صحراوي ،التداولية عند علماء العرب ،دار الطليعة ،بيروت ،ط1 2005م.

يوسف نور عوض ،علم النص ونظرية الترجمة ،دار الثقافة ،مكة المكرمة ،ط1 1410هـ.

المراجع الأجنبية المترجمة:

أ .ديكرو ،جان ماري سشايفر ،القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ،تر :منذر عياشي ،المركز الثقافي العربي ،طبعة منقحة.

أ.ديكرو ،السلميات الحجاجية ،تر: أبو بكر العزاوي ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،بني هلال ،ط1 2020م.

بالمر ،علم الدلالة إطار جديد ،تر :صبري ابراهيم السيد ،دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1955م.

جوليا كريستيفا ،علم النص ،تر: فريد الزاهي ،مرا :عبد الجليل ناظم ،دار توبقال ،ط1 1991م.

جون لاينز ،اللغة والمعنى والسياق ،تر :عباس صادق الوهاب ،مرا : يوئيل عزيز ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط1 1987م.

جون لاينز ،علم الدلالة ،تر: مجيد عبد الحليم الماشطة ،كلية الآداب جامعة البصرة ،1980م

جيفري سامسون ،مدارس اللسانية التسابق والتطور ،تر :محمد زياد كبة ،النشر والمطابع جامعة الملك سعود ،الرياض.

دومينيك مانغونو ،المصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب ،تر :محمد يحياتن ،الدار العربية للعلوم ،الجزائر ،ط1 1428هـ ،2008م.

ر . ديبوغراند ،النص والخطاب والإجراء ،تر :د. تمام حسان ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط1 1418هـ 1998م.

رومان جاكبسون ،قضايا الشعرية ،تر: محمد الولي ومبارك حانون ،دار توبقال للنشر ،ط1 1988م.

ستيفن أولمان ،دور الكلمة في اللغة ،تر :كمال بشر ،مكتبة الشباب.

فيرديناند دي سوسير ،دروس في الألسنية العامة ،تر: صالح القرمادي ،دار العربية للكتاب ،1985م

لويس ،اللغة في المجتمع ،تر :د .تمام حسان ،مرا :ابراهيم أنيس ،دار إحياء الكتب العربية ،1959م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر 3

إهداء 4
مقدمة .....أ
مدخل 5
الفصل الأول: السياق من خلال أفق الدراسات التراثية العربية 9
1. السياق عند علماء النحو.....10
1.1.السياق عند سيبويه.....10
2.1.السياق عند ابن جني.....14
3.1.السياق عند ابن هشام الانصاري 17
2. السياق عند علماء البلاغة 18
1.2.السياق عند الجاحظ 18
2.2.السياق عند عبد القاهر الجرجاني.....23
3.2.السياق عند عبد السكاكي.....27
3. السياق عند علماء أصول الفقه 31
1.3.تعريف علم أصول الفقه.....31
2.3.مكانة السياق عند علماء الأصول 32
3.3.أثر السياق في استنباط الأحكام الشرعية.....38
4. السياق عند علماء التفسير 40
1.4.تعريف علم التفسير وطرقه.....40
2.4.أهم الشروط وأدوات التفسير 41
3.4.أثر السياق في تفسير آيات الله عز وجل 43

الفصل الثاني: السياق من خلال واقع الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة 49
1. السياق في الدرس اللساني الحديث 50
1.1.السياق ف.دي سوسير 50
2.1.السياق عند رومان جاكبسون 53
3.1.السياق عند ب.مالينوسكي 56
4.1.السياق عند جون فيرث 59
2. السياق في الدرس اللساني التداولي 63
1.2.مفهوم اللسانيات التداولية وموضوعها 63
2.2.السياق في نظرية أفعال الكلام 65
3.2.السياق في نظرية الاستلزام الحواري 69
4.2.السياق في نظرية الحجاج 71
3. السياق في لسانيات النص 73
1.3.مفهوم النص 73
2.3.علاقة السياق بالنص 74
3.3.أثر السياق في ظاهرة الاتساق والانسجام 77
الفصل الثالث: أثر السياق في استنباط معاني الألفاظ اللغوية في القرآن الكريم 80
1. تحديد معاني الكلمات 81
1.1.معاني الأسماء 81
2.1.معاني الأفعال 88
3.1.معاني الأدوات 93

2. أثر السياق في تحديد معاني الجمل 98
1.2.معاني الجمل الخبرية..... 98
2.2.معاني الجمل الإنشائية 105
3.2.وقوع الخبر موقع الإنشاء ووقوع الإنشاء موقع الخبر 110
3. أثر السياق في تحديد معاني الحذف في القرآن الكريم 113
1.3.دلالة حذف الأدوات..... 113
2.3.دلالة حذف الأفعال 116
خاتمة .....هـ
قائمة المصادر والمراجع 122
فهرس المحتويات 129

ملخص

يُسهم السياق في تحديد المعاني الواردة في آيات الله. وهو ينقسم إلى قسمين: قسم داخلي، تُؤكّده القرائن اللفظية المتقاربة أو المتفرقة، وقسم خارجي، يتألف من القرائن الظرفية والوضعية، وأحوال المخاطبين والمتكلمين. ومن هنا، يُشكّل السياق دليلاً للتفاعل مع النص القرآني. إلا أن كل هذا يقتضي من القارئ عدم استنباط المعنى الباطني للألفاظ من الآيات إلا إذا وجد دلالة واضحة عليه. ويمكن للقارئ اللجوء إلى الجوانب الخارجية كأسباب نزول الآيات، كما فعل المفسرون، وربط الأحداث ببعضها لتفسيرها، تجنّباً للانحراف عن المعنى الحقيقي للآية، أو قد يقع في متاهات لا تمتّ بصلة إلى معنى النص القرآني. فإن لم يجده، فعليه اللجوء إلى المعنى الصريح في العبارة. أو يمكن القول إن السياق نصٌّ مصاحبٌ للنص القرآني ومرتبطٌ بالقرآن نفسه، فيُفسَّر القرآن بالقرآن نفسه، إذ توضح الكلمات والعبارات بعضها بعضًا.

Context contributes to determining the meanings contained in God's verses. It is divided into two parts: an internal part, confirmed by verbal clues, whether convergent or disparate, and an external part, consisting of circumstantial and situational clues, and the conditions of the addressees and speakers. Hence, context constitutes a guide for interacting with the Quranic text. However, all of this requires the reader not to infer the inner meaning of words from verses unless he finds a clear indication of it. The reader can resort to external aspects, such as the reasons for revelation of verses, as the commentators did, and link events to each other to interpret them. This avoids deviating from the true meaning of the verse, or he may stumble into labyrinths unrelated to the meaning of the Quranic text. If he does not find this meaning, he must resort to the explicit meaning of the phrase. Alternatively, it can be said that context is a text accompanying the Quranic text and linked to the Quran itself. Thus, the Quran is interpreted by the Quran itself, as words and phrases clarify each other.